20 me. année No 993

Le Caire 6 — 14 — 1952

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٩٩٣ «القاهرة فى يوم الاثنين ٢٢ شوال سنة ١٣٧١ — ١٤ يوليه سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون

إلى النائمين فى العالم الاسلامى

للأستاذ سيد قطب

نحن فى مصر مشغولون لا نفيق ؛ ليس لدينا وقت للتفكير فيما يدبره لنا اليهود بمعاونة العالم الصليبي . نحن مشغولون بالانقلابات الوزارية ، مشغولون كذلك بالانتخابات : هل تكون بالقائمة أم بالوزن أم بالكيل ؟ مشغولون بحكاية الاستثناءات ، هل ترد لأصحابها أم لا ترد ؟ ومن منهم ترد إليه استثناءاته ويزاد ، ومن منهم يؤخذ منه ما معه . .

وهى أمور — كما ترى — من الأهمية بحيث لا تترك وقتا ولا جهدا للتفكير فى أى شئ آخر

وفى هذا الوقت تقترب إسرائيل يوما بعد يوم من حدود سينا المصرية ، المصرية اسما وإن كانت مصر لا تعرف منها شيئا ، لأن السياسة اليهودية الإنجليزية عزلتها عن مصر طوال فترة الاحتلال ، ولم يكن هذا العزل شيئا عارضا ولا أمرا غير مقصود ، إنما كان وفقا لسياسة بعيدة الغور ، تتفق مع أطماع اليهودية العالمية

إن شبه جزيرة سينا يشتمل على أقدس مقدسات اليهود . فمن جانب الطور الأيمن نودى موسى ، وعليه تلقى الألواح ، وبه صخرة العهد . وسينا هى أرض التيه . . لذلك كله ترف حول سينا أطماع اليهود التاريخية ، ويربى أبناؤهم على عقيدة أن جزيرة سينا هى قلب مملكتهم الموعودة ، وما فلسطين إلا جزءا صغيرا من تلك المملكة التى تضم سينا وفلسطين وشرق الأردن وقسما من سورية والعراق حتى الرافدين

وعلى هذا الأساس هم يعملون منذ أجيال ، وفى سنة ١٩٠٦ وفدت على مصر لجنة إنجليزية يهودية قضت فى سينا خمس سنوات كاملة ، تفحص عن كل شئ فيها ، وتنقب عن المياه الجوفية والأراضى الصالحة للزراعة ، والمعادن والطبيعة الجيولوجية بصفة عامة ، والمناخ والطرق والأهمية الاستراتيجية ، وعادت ومعها تقرير شامل يثبت أن سينا صالحة لإسكان مليون نفس وإعاشتهم

وقد عنى الإنجليز بعزل سينا عن كل نفوذ للحكومة المصرية ، وكان محافظ سيناء «جارفس» الإنجليزى هو حارس شبه الجزيرة أن تعتد إليها عين مصرية ؛ وأفهموا المصريين أن هذه الصحراء لا أمل فيها ولا ضرورة للاهتمام بها ، لأن المياه الجوفية فيها لا تصلح لخلق حياة مستقرة ، وكان هذا كله لحساب اليهود الذين يسيرون دفة بريطانيا

ومن المعروف أن جيش إسرائيل عندما تجاوز الحدود المصرية سنة ١٩٤٨ ، كان أول عمل لرجاله عندما وطئت أقدامهم رمال الصحراء بعد رفح أن ترجلوا جميعا ، وقبلوا تراب الأرض ، وأقاموا الصلاة ، ثم تابعوا خطواتهم فى الأرض المقدسة !

أما اليوم فهم يقيمون على الحدود استحكامات قوية ،

ويسكنون فى أرضها الفتيان الفدائيين بزوجاتهم وأولادهم ، يقطعونهم الأرض ، ويبنون لهم مساكنهم تحتها — لا فوقها — ويمدونهم بالمال ليستصلحوها

وأمامهم ألوف الأميال الربعة فى الشقة المصرية خلاء ! فإذا أرادوا هم أن يزحفوا فسيزحفون من استحكاماتهم على الحدود ووراءهم العار . وإذا أردنا نحن — حتى أن ندافع — وقفت جيوشنا ووراءها هذه الألوف من الأميال القاحلة الجرداء الخاوية من السكان

لماذا ؟ لأننا نحن مشغولون . مشغولون بالانقلابات الوزارية . مشغولون بالانتخابات هل تكون بالقائمة أم بغير القائمة ؟ مشغولون بالاستثناءات ومن ترد إليهم استثناءاتهم ومن لا ترد ؟ مشغولون بهذه الأمور الكبار التى لا يجوز أن يلهينا عنها خطر اليهود أو غير اليهود ، وماتكون سينا وهى صحراء جرداء إلى جانب كراسى الوزارة الفخمة ومقاعدها الوثيرة ، وقاعاتها المكيفة الهواء !

وفجأة — وفى هذه الظروف — تطلع علينا نغمة لا يدرى مبعثها إلا الله ، والراسخون فى العلم من اليهود والصليبيين . نغمة تحديد النسل .. لماذا ؟ لأن مصر تضيق بسكانها ، ولأن موارد الرزق لاتنمو بنسبة نمو السكان ، ولأن الأرض الزراعية محدودة

جميل ! نحن معكم فى أنه حين تعجز موارد البلد عن إعالة سكانه يجب أن يقف نمو هؤلاء السكان . ولكن حين تكون فى موارد هذا البلد بقية فيجب أن يستمر سكانه فى التزايد ، لأن نمو السكان فى هذه الحالة ضمانة من ضمانات البقاء أمام تكتل الأعداء . وضمانة من ضمانات القوة فى المجال الدولى . لأن الأمم التى تريد أن يكون لها وزن فى الكتلة الدولية تحاول كلها زيادة سكانها . وأمامنا ألمانيا وإيطاليا وروسيا واليابان . بل أمامنا إسرائيل الصغيرة وهى تحاول مضاعفة سكانها على الرغم من كل ما يشاع من الأزمة الاقتصادية المسكة فيها بالخناق !

فهل استنفدت مصر وسائلها لزيادة مرافقها ؟ إن فى مصر من الموارد والمرافق ما يكفى لإعاشة ضعف سكانها كما يقول بعض الخبراء ، وأمامنا مثل واحد فى سينا ، فهى كافية لإعاشة مليون من الناس ، لو وجدت من يعمرها ويرد إليها الحياة

فلماذا يتجه التفكير أول ما يتجه إلى وقف نمو السكان ؟

ومرة أخرى نكرر ، أننا لا نعارض — بل نحتم — وقف نمو السكان حين يثبت أن مرافق البلاد غير قابلة للنماء . أما حين يثبت أنها قابلة لأن تتضاعف ، فإنه يكون من الحق ، أو الاتجاه المريب ، أن تثور مثل هذه النغمة . لأن معناها وقف نمو البلاد لامن ناحية تعدادها فحسب ، ولكن كذلك من ناحية مرافقها . فضغط السكان قد ينبه الغافلين إلى محاولة الاستغلال الكامل لمرافق البلاد

على أن حكاية تحديد النسل أو زيادته لا تخضع لحسن الحظ ، لهذه الأفكار السطحية التى لا تحاول التعمق فى دراسة الأمور . إن الحرص على زيادة النسل فى الريف ضرورة اقتصادية وضرورة اجتماعية . ولا عبرة بالمدن لأنها على هامش حياة الوطن !

إن الذى لا أولاد له فى الريف يعيش فى مستوى اقتصادى أقل من مستوى أبى الأولاد . كما أنه أقل هيبة وحصانة على الاعتداء ! وهذه العوامل الاقتصادية والاجتماعية من القوة بحيث لاتستمع لنصائح السطحيين !

ولن يتغير حكم هذه العوامل ويخف ضغطها إلا حين ينتشر التعليم ، ويصبح هناك مورد آخر للرزق على العمل فى الأرض ، وقوة أخرى للحماية غير قوة العضلات ! وعندئذ فقط يستطيع الشعب كذلك أن يستعيض من قوة العدد قوة العقل ، ليقف فى وجوه أعدائه المحيطين به

إن الفطرة تتصرف فى هذا أحكم مما يتصرف السطحيون الذين يحسبون أنفسهم « مثقفين ! » فإذا عز على حضراتهم أن يدرسوا الأمور دراسة حقيقية ، فلا أقل من أن يدعوا الفطرة تعمل بحكمتها ويقنعونا عن حكمتهم الذهبية ، المستمدة من الدسائس اليهودية والصليبية !

وبعد فنعود إلى استصراخ النائمين فى العالم الإسلامى ليصحوا على مطامع الصهيونيين فى سيناء . فإن مصر مشغولة الآن ، مشغولة بالانقلابات الوزارية . مشغولة بالانتخابات وهل تكون بالقائمة أو بالوزن والكيل . مشغولة بالاستثناءات وغير الاستثناءات . وما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه . والأمم يقدم . ولا حول ولا قوة إلا بالله

سيد قطب

تبعات السينما
فى حياتنا الاجتماعية

للأستاذ أنور الجندى

استفاضت المجلات الأوربية فى الأسابيع الأخيرة فى الحديث عن السينما والأفلام التى تعرضها ، وكان الحديث هذه المرة جد غاية الجد ، انطوى على تقدير ومراجعة العوامل التى تصيب المجتمع نتيجة لموضوعات هذه الأفلام

وكانت الصحف الفرنسية الأسبوعية أكثر الصحف شغلا بهذه الآثار الاجتماعية والأخلاقية ، وتطرق الحديث إلى الشباب والشابات قبل سن المراهقة وإبانها ، ومدى أثر الأفلام وموضوعاتها فى شخصيته وكيانه ، والنتائج الهامة المترتبة على ذلك فى محيط الحياة العامة

وكانت إحدى المجلات الفرنسية قد قامت باستفتاء ضخم منذ عدة شهور فى موضوع « السينما والشباب » ، وهل تدفع إلى المعصية والخطيئة والإجرام

وقدمت صحف أخرى إحصاءات ظهر منها أن ٩٠ ٪ من الأفلام المعروضة تنطوى قصصها على القتل والإجرام والاختلاس والإغواء والزنا والنصب والاحتيال

وبذلك أصبح موضوع النتائج الاجتماعية للسينما والأفلام من الموضوعات الجديرة بالاهتمام فى مصر ، بعد أن لقيت مثل هذه الرعاية فى البلاد الأوربية التى ابتدعت هذا الفن

ولا شك أننا فى الشرق قد بدأنا نحس مدى الخطر الضخم الذى يجتاح المجتمع نتيجة للأفلام المعروضة ، والتى لا هدف لها ولا سياسة ثابتة توجهها

وكان من الضرورى — والفيلم جزء من الثقافة العالمية — أن يشغل أمره بال المصلحين والكتاب والباحثين

ولست أشك لحظة فى أن عنصر التسلية والمتعة ، والخروج من النفس والجد ، هو أبرز ما يهدف إليه القائمون على العمل السينمائى ، غير أن ذلك لا يحول مطلقا دون تقدير المدى الذى تستطيع أن تهضمه عقليات المراهقين والشبان والفتيات ، مما له أبعد الأثر فى تكوين السلوك الفردى والعقد النفسية

وإذا كانت الشاشة تستجيب لرغبات الجماهير — فى أغلب الأحيان — إلا أنه من الممكن اليسير أن يحاط ذلك بقيود تهدف إلى المحافظة على قواعد الخلق وتقاليد المجتمع

ولسنا نطمع فى أن تكون الشاشة موجهة مؤثرة مناحية عن المثل العليا فى الخلق ، أو عن الأمجاد الرفيعة المستمدة من التاريخ والماضى ، ولكننا نريدها على أقل تقدير كريمة وطنية بحيث لا تطغى عليها الناحية المادية التجارية التى يحرص عليها الممولون ، فتكون هدفها الأول والأخير

ويقينى أن كتابة القصة السينمائية وحبكتها الفنية ، وبراعة عرضها ، كل هذا كفيل بأن يكسبها أكبر عدد من المعجبين ، ويدر على أصحابها الربح بصرف النظر عن العوامل المصطنعة التى يغرى بها فريق قليل من النظارة

وإنا لنرجو أن تنال هذه الصيحات الأوربية اهتمام المشرفين على السينما فى مصر فيحرصوا على أن يتفادوا الآثار النفسية الإجرامية أو الآثمة ، وأن يحولوا دون كل ما من شأنه إبراز معنى الغواية ، وهى خطيرة الأثر على الشاب والشابة المراهقين

وإنا لنرجو أن يتسع الميدان أمام العاملين ، فلا يقصر عن المعانى الضيقة والأوهام والشهوات بعد أن خطت الأفلام الغربية خطوات واسعة فى مضمار الثقافة والتوجيه ، وعرفت بأنها جميعها بلا استثناء تحمل فكرة معينة مدروسة

وإذا كان الأوربيون اليوم يدرسون تبعات السينما وآثارها الخطيرة فى المجتمع ، فنحن أولى — ونحن نجرى وراءهم دائما — أن نأخذ منهم هذه الخطوة دون أن نخشى أن نتهم بالرجعية أو القصور

والسينمائى الناجح كالطبيب الماهر ، يعرض الداء ويصف الدواء ، ويستطيع أن يحشد عوامل الإيحاء والسيكولوجيا والفن فى تحويل نفسية المريض وإقناعه

ولا أظن أننا فى كبير حاجة إلى هذه الاستعراضات الراقصة

التي يتمسك بها المنتجون ، وقد ظهرت أفلام دون أن تحشر هذه المناظر المبتذلة ، فنجحت نجاحا منقطع النظير ، وقيل عنها في الخارج إنها رفعت رأس مصر عاليا ، بعد أن كانت مصر متهمة بإنتاج الألوان الفنية وحدها

وجدير بالشاشة في مصر والشرق أن تحرص على عرض أمجاد الشرق ومحاسنه ، ليكون ذلك — على الأقل — ردا على ما تحرص عليه الأفلام الغربية من تشويه تاريخ الشرق ومسخه ، ووضعه في صورة من ألف ليلة وليلة . .

فطالما عرضت الأفلام الغربية للشرق على نحو من التعصب والهوى ، وهي بما لها من قوة التوزيع والانتشار استطاعت أن تقنع الكثيرين بأن هذه هي حقيقة الشرق ، ونحن نستطيع — وفي أيدينا الوسائل ميسرة — أن نواجه هذه الحملة بتصوير صحيح لأمجادنا وقضايانا ، من شأنه أن يضع الحقائق في نصابها

ومما هو جدير بالذكر أن الأمم المتحدة كانت قد طلبت من مصر في العام الماضي موافاتها ببيانات عن أفلام تنتفع بها لجنة التربية والعلوم الثقافية للهيئة ، لتوزيعها بعد اعتمادها على سائر الدول الأعضاء في العالم كله.

وقد حدد هذا الطلب بأفلام تصلح للعرض على الطلبة في المدارس ، وعلى الجمهور المثقف ، مما يعالج المشكلات العالمية ، من سياسية واجتماعية واقتصادية ، ومن موضوعات صحية ، وأساليب وقائية ، ومن رعاية للطفل إلى نظام المنزل ، إلى مزارع نموذجية لتربية الحيوانات ، إلى مصايد الأسماك ، ثم في مسائل التغذية واختيار الأطعمة ، وطريقة تحضيرها وحفظها . . الخ

ومع الأسف الشديد أن السينما المصرية لم تجد ما تقدمه لهذه اللجنة ، لأننا لازلنا قاصرين عن بلوغ هذا الشوط . .

فالسينما هي إحدى المدارس الثلاث الخطيرة الأثر ، البعيدة المدى في حياة الشعوب ، وهي لذلك جديرة بأن تحاط بالكثير من العناية ، وعن طريقها يمكن إصلاح المجتمع وتوجيهه خير وجهة ، بعد أن تتغلغل دور السينما في الأحياء وفي البلاد وفي القرى ، حتى يمكن القول بأن ٩٠٪ من السكان يحضرونها ، ومعنى هذا أن جزءاً ضخما من مواردنا المالية ، وخاصة موارد العمال والطبقات الوسطى ، وهي موارد محدودة جدا تذهب إلى هذا الباب ، ولما كنا نقاسي في حياتنا العاملة العامة ضغطا وضيقا ، فإننا نجد في السينما بابا من أبواب التسلية ، وفرجة من فرج تصريف العوامل النفسية المكبوتة ، ولذلك فنحن في مثل هذه الحالة من الاستعداد للتلقي ، نتأثر إلى أبعد حد بما يقدم لنا لاسيما الفتيات في سن مبكرة ، والأطفال والشباب إبان المراهقة ، ولعلنا نلحظ بوضوح تلك الحركات التقليدية الواضحة في تصرفات النشء الصغار ، والتي هي منقولة نقلا كاملا عن حركات الممثلين والممثلات

ولهذه العوامل مجتمعة كان من حقنا على المصلحين أن يولوا مدرسة السينما عناية كبرى بحيث لا يقضي جانب التسلية والترفيه على روحنا المعنوية أو شخصيتنا الحقيقية —

أنور الجندي

رفائيل

للأستاذ أحمد حسن الزيات بك

إحدى روائع القصص العالمي الواقعي

لشاعر فرنسا الخالد

* لامرتين *

ثمنها ٢٥ قرشا عدا أجرة البريد

٤ ـ إندونيسيا

الحياة الاقتصادية

الاستاذ أبو الفتوح عطيفة

الاقتصاد والاستعمار :

لاشك ان الدافع الأول إلى الاستعمار هو العامل الاقتصادي. فالدول الاستعمارية إنما تقصد بوضع يدها على المستعمرات إلى أن تضمن لنفسها إنتاج هذه البلاد سواء أكان زراعيا أم حيوانيا أم معدنيا ، كما أنها تضمن أن تكون هذه المستعمرات أسواقا لتصريف مصنوعاتها . وكل هذا يحقق رفاهية الشعب المستعمر ورخاءه ، وهكذا يسعد بعض الشعوب ويشقى البعض الآخر

تلك هي قصة الاستعمار منذ نشأته ، وستظل كذلك مابقى ! إنه الدليل الحي على ظلم الإنسان للانسان وجشعه وطمعه وأنانيته .

ولم تختلف قصة الاستعمار الهولندي لإندونيسيا عن غيرها من القصص ، فقد ظل الهولنديون يدأبون على وضع يدهم على منتجات إندونيسيا وخيراتها وأرضها وعلى تسخير الإندونيسيين في العمل والإنتاج حتى تم لهم ذلك ، فأصبحوا يسيطرون تماما على الاقتصاد الإندونيسي وجنت هولندا « بقاله أوربا » وشبعها من وراء ذلك أرباحا طائلة وسعد الهولنديون بينما كان الإندونيسيون لايجدون القوت ! وكثيرا ماستخدم الهولنديون القسوة في دفع الإندونيسيين إلى العمل ، ولما وجه إليهم اللوم قالوا إنا نفعل ذلك لأن فيه صلاح الإندونيسيين ! وهذا هو الاستعمار : شر وبلاء وفقر ومذلة !

وقد كانت الشركة الهولندية الشرقية أول محتكر لإندونيسيا ولكن منذ ١٨٧٠ سمح للرأسماليين الهولنديين باستثمار أموالهم في إندونيسيا فامتلأت البلاد بشركاتهم ومؤسساتهم ، وعاد الربح الوفير على الشركات الهولندية والهولنديين

راع الدول الكبرى ماتجنيه هولندا من أرباح فطلبت أن يسمح لرعاياها باستثمار رؤوس أموالهم في إندونيسيا ، واضطرت هولندا إلى اتباع سياسة « الباب المفتوح » فتدفقت رءوس الأموال الأجنبية من هولندية وإنجليزية وأمريكية وفرنسية وألمانية ويابانية على إندونيسيا .

وقال المستعمرون إنهم يعملون على إنماء ثروة إندونيسيا . ربما كان صحيحا ، ولكن هل أدى ذلك إلى تحسين حال الإندونيسيين ورفاهيتهم ؟ والجواب على ذلك : لا

صحيح أن إندونيسيا قد أصبحت قطرا غنيا عظيم الإنتاج يعج بالمصانع والبنوك ، وتنتشر فيه الطرق الحديدية والسيارات ، وتكثر بموانيه السفن والبواخر ، ولكن الشعب الإندونيسي كان ينظر إلى تلك الثروة بكل حسرة لما أصابه من الحرمان والفقر المدقع . يقول الأستاذ «هلفرسن» الهولندي عندما ودع إندونيسيا : آه يا إندونيسيا الغنية ... ولكن شعبك في عوز وفقر مدقع ! ويقول الدكتور ليفرت « إن الأجور التي يتقاضاها العمال الإندونيسيون لاتزيد عما يسد الرمق » .

على أن هذا البؤس كان مما دفع الإندونيسيين إلى أن ينهضوا وإلى أن يحاولوا رفع هذا الضغط الاقتصادي عن كاهلهم وإلى أن يعملوا على تحسين حالتهم الاقتصادية ، وفي النهاية إلى أن يعملوا على تحرير وطنهم من ربقة الاستعمار وإعادة الاستقلال إليه . وهكذا استيقظت إندونيسيا من سباتها

وكانت الشركة التجارية الإندونيسية التي تأسست ١٩٠٩ أول حجر في هذا البناء الشامخ وأصبحت الجمعيات والأحزاب الإندونيسية تعنى بالتحرر الاقتصادي للاندونيسيين كما تعنى بالتحرر السياسي ومن ثم كثرت الشركات الوطنية التجارية والصناعية

وفي ١٩٣٨ تأسست شركة « الملاحة والتجارة » للجمعية المحمدية . وقد كانت تهتم بتيسير نقل الحجاج إلى مكة ، وساعدت كثيراً على تقدم حركة النقل التجاري الإندونيسية .

ثم أنشىء « البنك الإسلامي » تحت إشراف الجمعية المحمدية وبمجهود المرحوم الدكتور ستدمو قام في سورابايا « البنك الإندونيسي الوطني » .

وهكذا سارت حركة التحرير الاقتصادي جنبا إلى جنب

مع حركة التحرير السياسي ، وفي ١٩٤٥ تحقق استقلال إندونيسيا ونحن نرجو لشعبها الرفاهية والقوة في ظل الاستقلال

قصة جوز الهند :

شجرة جوز الهندى زينة المناطق الحارة وحلية الناظر الطبيعية في الغابة ، تمتاز بارتفاع هامتها وباعتدال جذعها النحيل وبتجرد ساقها من كل فرع أو غصن ، وتتوج هامتها أوراقها الوارفة تتموج وتتمايل في الفضاء تحت ضربات الرياح فيسمع لحركاتها صوت يشبه حفيف أجنحة الحمائم الطائرة .

وإندونيسيا من أكثر الدول إنتاجا لجوز الهند فهي تنتج ٢٥٪ من المحصول العالمي وتصدر منه مايزيد على ٥٠٠ر٠٠٠ طن سنويا .

وللجوز الهندى منافع جمة : فبداخله شراب لذيذ الطعم ويحيط به لب ناصع البياض هو غذاء شهي . وللجوز الهندى غلاف صلب يمكن استخدامه كوعاء وتغطيه ألياف يمكن صناعة الحبال منها وكذلك تستخدم في صباغة الأكلة والمكانس أما السعف والأوراق فتستخدم وقودا وأما الجذع فيعتبر من أقوى خشب العمارة ويتخذ لبناء البيوت والجسور .

ولشجرة جوز الهند قصة طريفة ترويها الأساطير الإندونيسية .

زعموا أنه كان يعيش في إندونيسيا في قديم الزمان ملك عظيم الشأن يخضع لسلطانه جميع الملوك المعاصرين . وكان لهذا الملك طاهية قديرة تتفنن في صناعة الأطعمة الشهية والمأكولات اللذيذة ولا يفوقها أحد في براعتها أو مهارتها . وكان الملك يخصها بالمزيد ببراعتها ويشملها دائما بعطفه ورعايته وهداياه وجوائزه .

ولقدرتها الفائقة بعث الملوك بطهاتهم إلى قصر الملك ليأخذوا عن الطاهية فنها ولكنهم لم يستطيعوا الوصول إلى السر وظل فنها قاصرا عليها

وذات يوم كانت الطاهية مشغولة بإعداد طعام الملك فغافلها أحد ندمائه ودخل المطبخ خلسة واختفى في ركن من أركانه ، وظل يراقبها لكي يقف على سرها

وكانت الطاهية تحمل على ذراعها طفلها الرضيع ، وسرعان ما وقف النديم مبهوتا مدهوشا . لقد رأى الطاهية تحلب من ثديها لبنا صبته في الإناء الذي يفور فيه الطعام المهيأ للملك . عرف النديم السر فتسلل من مخبئه وذهب توا إلى الملك وأوقفه على الأمر

ثار الملك وغضب على طاهيته التي تجرأت على أن تطعمه من لبن ثديها القذر ، ولم ير سوى الموت عقابا لها على جريمتها ، وأمر بتنفيذ حكم الإعدام فورا ولم يشفع لديه بكاؤها ولا توسلاتها

عرفت المسكينة أنها هالكة لامحالة فدعت الإله في ضراعة أن يحمي طفلها الوحيد بعد موتها وسألته أن يرد جسمها بعد دفنه إلى شيء يستطيع أن يقوم لابنها ولأعقابه بأجل الخدمات ودفنت جثتها في موضع بداخل الغابة ، ولم تمض أيام على موت الطاهية حتى شوهد فوق قبرها نبات ينمو ويترعرع في سرعة مدهشة ، ومالبث أن أصبح شجرة عالية ذات ثمار كبيرة مستديرة ! إن الوجود قد انشق عن أول شجرة للجوز الهندى أو النارجيل

لقد تحقق جميع ما طلبته الطاهية : إن جسمها قد تحول إلى شجرة جمة المنافع ، فثمرتها عظيمة ، في جوفها ماء ليس كالماء ! تجده نقيا صافيا فيه حلاوة الرحيق وأنفاس النبيذ لذة للشاربين ومطفئا لأوار الظامئين . كم من مسافر أطفأ ظمأه شراب جوز الهند !

وكم من جائع ناله الشبع من لب جوز الهند ! .

وكم للجوز الهندى من فوائد (راجع ماسبق) !

وهكذا استجاب الإله لدعاء الطاهية فصنع من جسمها شجرة عظيمة النفع لأبنائها وأحفادها .

وتمضي الأسطورة فتقول : إن روح الطاهية تطوف بأشجار النارجيل ليلا تودع أحفادها وكأنها تقول

نم أيها الطفل الحبيب نم

فإن أعمالي قد انتهت

وقد أجهدت أنت نفسك كثيراً في اللعب

والنهار قد ولى وبلغ نهايته

هلن كلـــر

العمياء الصماء البكماء

للأستاذ نقولا الحـــداد

بقية ما نشر في العدد الماضي

قالت مس سوليفان في أحد تقاريرها . إن لهلن ذاكرة عجيبة لا تصدق . كنا ذات يوم في فندق في بلدة تدعى هوسفيل وتجمع النزول حولنا لكي يروا تلك المرأة العجيبة . كانوا نحو عشرين شخصاً . فقدموا لهلن هدايا مختلفة . وقدموا أنفسهم إليها بأسمائهم . وكانت تصافح كل واحد منهم وكنت أنقل لها اسمه على كفها . وفي اليوم التالي تجمعوا حولها . وكانت تصافح كل واحد منهم وتذكر لي اسمه على كفي

هذا هو العجب العجاب ! من يصدق ؟ المعلمة لا تكذب إذ لا غرض لها من الكذب في تقريرها . وكان كل واحد من نزلاء الفندق يقول كلمة من إعجابه . فقال أحدهم : ما رأيت في حياتي وجهاً يشع بهاء كهذا الوجه كأنها ليست عمياء أو خرساء وقال آخر : أود أن أهب كل ما أملك وأن تكون هذه الفتاة دائماً إلى جانبي »

والليل قد أرخى سدوله
فنم أيها الطفل العزيز نم
وأغمض جفونك أيها الحبيب
وخذ قسطك من الراحة
كيما تشب قويا مفتولا
واتخذ من صدري فراشا وثيرا
وأغمض جفونك أيها الحبيب

قيحت بقية

أبو الفتوح عطيفة

روت مس سوليفان في أحد تقاريرها أن هلن كانت شديدة الإحساس العقلي لدرجة لا تتصور . كانت تدرك عاطفة كل شخص تلمسه أو تلمس يده أو تتصل به بأية طريقة . فتعلم هل هو مرح أو غاضب أو مستاء أو يائس أو آمل ففي ذات يوم رمى ولد « فرقيعة » صغيرة أمام أمها فما جفلت فسألتها هلن في الحال « لم خفت » ؟ (ألا يخفى أنها كانت قابضة على يد أمها كعادتها حين تسير مع أي شخص) . وفي ذات يوم كانت هلن ومعلمتها سائرتين في الشارع ، فرأت المعلمة شرطيا قابضاً على غلام يمضي به إلى دائرة البوليس ، فقالت لها هلن : « ماذا تشاهدين ؟ » كأنها أحست أن المعلمة أشفقت على الغلام

وفي ذات يوم دعا داع أن تدخلا إلى مقبرة . قالت سوليفان رأيت هلن قد انقبضت كأنها أحست بشيء كئيب مع أنها حتى ذلك الحين لم تكن تعرف شيئاً عن الموت ، بل عرفته لأنها في ذات يوم عرفت أن حصاناً انكسرت رجله في حادث . فكانت تريد أن تزوره كل يوم . وكانت تشعر أنه يئن من الألم ، وفي ذات يوم ألحت في الذهاب إليه فقالت لها إنه مات ودفن تحت التراب . فسألت : كيف مات ؟ هل مات كما تموت البطة التي يصطادها أبوها بالبندقية ؟ وكانت تعلم البطة الميتة وهي تعرف كيف تكون البطة الحية . فقالت لها المعلمة : نعم وقد رموه بالرصاص كي يخلصوه من الألم إذ لم يبق أمل بشفائه . وهكذا عرفت الموت

وفيما كانت في المقبرة كانت تتحسس كل حجر وكل رخامة إلى أن صادفت اسم فلورنس محفوراً على رخامة قبر . فسألت : « أين فلورنس الآن ؟ هل بكيت عليها ؟ من وضعها في الحفرة الكبيرة ؟ أظنها ماتت جدا . وكانت المعلمة تتجنب أن تجاوب على أسئلتها . وإنما أفهمتها معنى الموت

وكانت هلن في حداثتها رقيقة الشعور جدا . ففي ذات يوم ألبستها أمها معطفاً أنيقاً ، وكانت فرحة به جدا ، وقالت لها أمها « يوجد غلام أعمى فقير ليس له مثل هذا المعطف . فما قولك ؟ فما كان منها إلا أن جعلت تخلع المعطف لكي تعطيه للغلام .. فردته أمها عليها وقالت سأصنع معطفا غيره للغلام

وكانت رقيقة الإحساس نحو جميع الأحياء الذين حولها . وكانت إذا ركبت المركبة إلى جنب السائق ترجو منه أن لا يقرع الحصان بالقرعة فتقول له بلغتها . « حرام ! الحصان يبكي » .

كانت في أوقات الفراغ تخيط أو تطرز . ولكنها كانت تقرأ كثيرا ، وفي قراءتها تمر أصابع يسراها على الخط العميائي وبأصابع اليمنى تهجي الكلمات ، وحركات يدها سريعة جدا

وفي ذات يوم علمها ابن عمها أبجدية التلغراف فتعلمتها بسرعة وكانت تخاطب بها كل من يعرفها بنقر أصابعها على كفه . عجيب أنها تفهم بسرعة ولا تنسى ما تعرفه

والغريب أنها تعلمت السباحة والغوص ، وكانت تسوق المركبة ذات الحصانين . وبالطبع كانت معلمتها إلى جنبها لتقيها من الزيفان والحصان يقيها منه لأنه يرى الطريق وهي تلقي له اللجام على الغارب

وكانت كل أمنيتها أن تدخل كلية ردكليف لتدرس مع المبصرين والسامعين العلوم العليا ، ولما دخلت الكلية انتظمها الصف الأول نائبة رئيس الصف ! والصف أربع سنين دراسة أعلاها الرابع

جميع كتب الدراسة والتعليم مكتوبة للعميان بالحروف البارزة . وللعميان آلات كتابية (تيب ريتر) يستعملونها . وكان لهلن جميع الكتب العميانية ولها آلة كاتبة خاصة . ومس سوليفان لا تفارقها فتساعدها في كل ظرف من ظروف دراستها

في الكلية درست النحو وآداب اللغة الإنكليزية . ودرست اللغة الألمانية واللغة الفرنسية واللغة اللاتينية واليونانية . ولما كان للعميان جميع الكتب المهمة في هذه اللغات بالحروف تيسر لهلن أن تقرأ بعض إلياذة هوميروس وبعض شكسبير . وأهم مؤلفات الألمان والفرنسيين

والغريب أنها وهي في الكلية كانت تهتم بإنشاء كلية لتعليم العمي والبكم . وبذلت جهداً في هذا السبيل وألفت لجنة لهذا الغرض منها معلمتها وأمها وبعض موظفي مدرسة العميان التي درست فيها ، وهي تعترف دائماً بأن مس سوليفان صاحبة الفضل الأعظم عليها وأنها أمها الثانية ، ثم إنها جعلت تسعى لتحويل هذا المشروع فكتبت للكثيرين أن يمدوه بالمال . فلا بدع أن تراها وهي في سياحتها في الشرق توجه كل اهتمامها إلى مدارس العميان والسعي لمساعدتها

وانتهت هلن من كلية ردكليف بنجاح فائق وأخذت مع المبصرين والسامعين درجة بكلوريوس علوم . وما قنعت بهذا بل طمحت إلى الجامعة لكي تحصل على دكتوراه في العلوم ثم دكتوراه في الفلسفة

ولما بلغت العشرين من العمر وكانت قد انتهت من الدرس شرعت تكتب تاريخ حياتها الذي طبع في سنة ١٩٠٣ أول مرة ثم طبع سنة ١٩٣٢ مرة ثانية

وكانت مجلة السيدات Ladies home Journal تنشر مقالاتها وجميع أخبارها وأخبار مس سوليفان عنها

وبكل أسف ليس في كتاب تاريخ حياتها الذي نحن بصدده شيء عن حياتها بعد كتابة كتابها الأول . وإنما هناك كتاب آخر بعنوان Mid Sheom يستوفي بقية حياتها في الجامعة وبعدها . وأتأسف أنه لم يتيسر لي الحصول عليه

ولمس سوليفان فصل طويل في مسائل هلن من الوجود والله والطبيعة ، فكانت مس سوليفان تسوف الأجوبة على هذه الأسئلة إلى أن تنتهي هلن من الجامعة ودرس الفلسفة

هذه هي هلن كار التي هي كتلة عقل في دماغ طري مرن ، وكتلة أعصاب في بدن شديدة الحساسة ما عدا أعصاب السمع والبصر . والذين رأوها في مصر دهشوا من مقدرتها في التعبير عن نفسها وأفكارها . ومنهم كثيرون لم يصدقوا هذه المقدرة لأنهم رأوا وجهها يشع جمالا وليس في عينيها ما يدل على عمى ، وما فهموا أن العيب ليس في عينيها ولا في أذنيها ، وإنما هو في مراكز السمع والبصر في الدماغ

فسبحان من منع ثم منح

جحا القاضي

للاستاذ عطا الله ترزي باشي

اشتهر من بين المستظرفين في الشرق رجلان سميا بجحا ، أحدهما عربي ، هو أبو الغصن بن رجين بن ثابت الذي عاش بمدينة الكوفة في القرن الثاني من الهجرة ، والآخر تركي يعرف بجحا الرومي ، وهو الخوجة نصر الدين الفيكهان(١) العالمي المعروف

ونريد في هذا المقال أن نتكلم عن الثاني على أن نحصر الكلام في ناحية هامة من نواحي حياته ، ونعني بها جانب القضاء ، وأن نتطرق كذلك بإيجاز إلى جوانب حياته الأخرى كلما مست بنا حاجة أو دعت إليها ضرورة

ولد جحا بمدينة (سيوري حصار) من ولايات الأناضول وتلقى علومه الابتدائية في مدينتي (آق شهر) و (قونيه) . وعين بعد ذلك إماماً في بعض المساجد فدرساً . وقد اشتهر بالوعظ والخطابة ، وشغل منصب القضاء مدة غير قليلة في نواحي قونية . وتوفي سنة ٦٨٣ هـ عن عمر يناهز الستين . وقد ثبت تاريخ وفاته في مرقده بترتيب عكسي لأرقام السنين ، فكتب تاريخ ٣٨٦ هـ بدلا من ٦٨٣ . وهذا الأخير مشكوك فيه أيضا

لقد كان جحا الرجل الفذ المعروف بحضور بداهته وقدرته على إبداع النكات بما لا يضارعه في ذلك أحد من المستظرفين . وإن كان جحا ضحكة (٢) بين الناس فإنه لم يكن صاغراً أو مهاناً راضيا بالذل والضيم .. فقد كان شيخاً كريما وأديباً ممتازا جمع بين الجد والهزل بشكل لا يجاريه فيه أحد من الأدباء ، وعالماً فاهما يفحم فطاحل العلماء بأجوبته المسكتة وأدلته المفحمة . وهو بعد بلا شك برناردشو زمانه ، والواقع أنه كان أذكى وأعقل .. ومن درس حياته دراسة عميقة توهم فيه أديباً رفيعا بعيدا عن المهازل المبتذلة .. ورأى من وراء سفاسفه فلسفة مثلى .. والمطلعون على نكاته — باختلاف طبقاتهم واختلاف ألوانها — تراهم يستمتعون بلذاتها أبد الدهر . فهو يتمثل في مخيلة كل قارئ شخصاً يتغير وصفه بتغير حال المخيل ، فيتصوره الصغير رجلا طاعنا في السن وعصاه في يده يسوق بها حماره الذي يلازمه في أكثر نكاته . ويتخيله الجاهلون من طبقة العوام رجلا ذا جنة فيهرفون في الضحك به ، ويعتبرون نوادره لونا من الهزل الرخيص . وهو في الواقع رجل عظيم كما ذكرنا ، حكيم رزين ، وعالم متزن متحل بمزايا الإنسان الكريم . أما نكاته فهي مرآة صافية تتمثل فيها جوانب شخصيته الممتازة . وقد ترجم أغلب نوادره إلى اللغات العربية والفارسية والهندية فضلا عن أنها ترجمت إلى كثير من اللغات الأوربية الحديثة . وقيل إن أحد الإنكليز المغرمين بنوادر جحا كان يقتني كل نادرة غير موجودة في مجموعته بجنيه استرليني ، حتى تمكن من الحصول على عدد غير قليل من نوادره ..

كان جحا يجالس العلماء البارزين ويتحداهم في كثير من المسائل ، وكان يصاحب رجال الدولة وخاصة القضاة منهم ، فيستشيرونه في كثير من الأمور فيرشدهم إلى أسلم الحلول . وكان الأفراد ، صغيرهم وكبيرهم ، يحتكمون إليه فتراه يحل مشاكلهم بفطنته ويقطع بينهم دابر الفساد بدرايته . فيرضى بحكمه الصغير ويقنع برأيه الكبير .. يحسم النزاع بشكل لا يدع فيه للاعتراض مجالا ولا يترك للمناقشة بابا . يعبر عن غاياته بتعابير شيقة توافق مقتضى الحال . فيعرف كيف يخاطب الصغير ويجاري الجاهل الغرير(٣) وهو يعرف كيف يوازي الحكيم المحكم ويوازن الشيخ الكريم ...

أدرك جحا عصر تيمورلنك (٤) الملك الجبار وأنس بمجلسه . وكان يواجهه في كل حين مواجهة صديق لصديقه ، لا يأخذه منه روع أو جزع ..

دخل تيمور بلدة جحا مظفراً منتصرا على العثمانيين . فخاف الناس أن يصيبهم منه أذى حتى أقدم جحا على زيارته

(١) بمعنى الفاكه

(٢) وهو من يضحك على الناس ويضحك الناس عليه

(٣) بمعنى الغر بكسر الغين

(٤) وإن يرى بعضهم خلاف ذلك ..

وأبدى جسارة فى الجلوس بجانبه . ولما رآه وقد مد إحدى رجليه (٥) أراد أن يضحك منه ؛ فمد هو رجله من ساعته . فاستشاط تيمور غضباً وقال له : لقد سمعت عنك أنك ظريف حكيم ولكن تبين لى أنك حمار ! فتبسم جحا ضاحكا وقال له : أجل ! إنه ليس بينى وبين الحمار فرق سوى ذراع أو ذراعين (٦) ! فتعجب تيمور من هذا الجواب فأمر بالإنعام عليه وجعله من المقربين

ويروى عنها نكات كثيرة ، نخص بالذكر هنا إحداها وقد تميزت بطابع القضاء الذى جعلنا المقال يدور حوله

ارتجل (٧) جحا يوماً أوزة رجاء يقدمها إلى تيمور . فغلب عليه الشوق إلى أكل شرحة منها ، فعالجها لاختيار الوضع الذى يأكل منه حتى تناول إحدى رجليها(٨) . . فغضب السلطان للمسألة ، فسأله بغضب عن علتها فأجاب جحا قائلا :

— إن الإوز فى هذه البلاد — يا سيدى — له رجل واحدة ! وأشار إلى الإوز فى الحديقة وهى واقفة على رجل واحدة (٩) .. وعندها قام تيمورلنك فضرب الإوز بعصاه حتى تولت برجليها مسرعة . . قال له جحا : لئن ضربتك بهذه العصا لرأيتك تركض بأربع أرجل ! وكان ذلك جواباً مفحما ابتغى من ورائه الإشارة إلى الآثار السيئة التى تنجم عن التعذيب فى المجتمع

* * *

لقد زادت قيمة جحا وعلت منزلته بين الناس بمر الأيام وكر الأعوام حتى تكون له مركز ممتاز فى المجتمع . وقد ذاع صيته فى أطراف البلاد ، فاهتمت به الأوساط الأدبية وعنت المجالس الثقافية بجمع نوادره الرائعة .. وأحبه الناس حبا جما فكانوا يكرمون وفادته فى كل مكان . وكان رجال العلم وأكابر القوم وولاة المملكة وقضاتها لا يقطعون عن مجلسه ولا يدعونه ينقطع عن مجالسهم

يروى أن أحد القضاة أراد يوماً أن يستهزئ بجحا فى مجلس ضم جمعا غفيرا من علية القوم ، وكان يغريه فى ذلك أحد التجار ، قال :

— لا غرو أن كثرة الكلام داعية للخطأ ، فهل صادف أن سببت لكم الثرثرة خطأ ؟

قال جحا : نعم . وكان ذلك فى موضعين : أحدهما فى جملة « وقاضيان فى النار » فقد قرأتها خطأ « وقاض فى النار » وثانيهما فى آية « إن الفجار لفى جحيم » إذ قرأتها « إن التجار ... »

ويروى له مع هذا القاضى نادرة أخرى أطرف من سابقتها وهى أن جحا كان يوما جالسا مع صديقه القاضى فى قاعة المرافعة ، فجاء رجلان يتخاصمان على رفع جيفة كلب ملقاة فى الطريق بين داريهما ، يطلب كل منهما إلزام الآخر برفعها

رأى القاضى أن يحيل المسألة على جحا فيحسم النزاع وكان يروم الاستهزاء به . فما كان من جحا إلا أنه اعتلى منصة القضاء وأصدر حكما يتضمن أن الأفراد غير ملزمين بإزالة الجثث من الطريق العام ، وإنما المختص بهذا العمل هو حضرة القاضى الذى يمثل المصلحة العامة (١٠)

وهكذا حسم الدعوى حسما موافقاً لمقتضى القانون والعدالة ، منتقما من القاضى الذى أراد الاستهزاء به ..

ويعبر جحا بنكاته البديعة عن واقع الحال تعبيراً صادقا ، ويصور بها الأوضاع السيئة فى عصره خير تصوير . فانظر إلى فكاهته هذه كيف يوضح بها سوء القضاء وتفشى الرشوة بين الحكام :

حكى أن تريا قال لجحا : إن تبصق على وجه فلان ، وهو

(٥) لمة فى رجله

(٦) وكان يبعد عن تيمورلنك فى المجلس بهذه المسافة

(٧) بمعنى طبخ فى الوجل

(٨) نأشار بذلك إلى عرجة تيمور

(٩) والمعروف عن هذا الطير أنه يقضى معظم أوقاته واقفاً على الرجل الواحدة

(١٠) وفى التعبير التركى الذى استعمله جحا كناية تعنى أن جيفة الكلب هى حصة القاضى .

عدو لى ، فلك منى دراهم كذا .. وافق جحا على ذلك .. فرفع المشتكى أمره إلى القاضى ولدى السؤال أجاب جحا قائلا . إن لدى فرمانا (١١) يخول لى الحق فى ذلك ..

فاستغرب القاضى من ذلك وقال له أرنى هـذا الفرمان . فإذا بجحا يدفع كيساً إليه وفيه نصف المبلغ الذى أخذه من صاحبه التاجر . وما أن أخذ القاضى الدراهم حتى ولى وجهه إلى المشتكى وقال :

— حقا لقد أبرز خصمك فرمانا يخول له الحق أن يبصق على وجهك وعلى وجوه الناس بل وعلى وجهى كذلك !..

وتقلد جحا منصب القضاء مدة طويلة كان خـلالها مثال الحـاكم العـادل الذى لا يغريه الطمع والحـكيم المجرب الذى لا يغويه الفساد . فكان حازما فى رأيه صريحا فى نطقه ، قوى الحجة كثير البلاغة ، ذكيا ذا فطنة لا تخدعه خديعة الماكرين ولا يجترفه عن الصواب مكر الماجنين .

حكى أن أحد الماكرين أراد أن يحتال على كسار خشب ، فادعى أن له بذمته مبلغا نشأ عن حثه المدعى عليه على كسر الحطب بترديده كلـمات « هينغ .. هينغ » حيث سهل أمر الـكسر ، ولذا فإنه يطلب من المحـكمة إلزام المدعى عليه بالمبلغ المدعى به وهو أجر قوله ...

تأمل القاضى — وكان جحا — فى المسألة ثم قال للمدعى عليه : هات المبلغ المدعى به ! وما أن أخذ الدراهم حتى رنها وأعادها إلى صاحبها المدعى عليه قائلا :

— إياك الدراهم .. وأنت يا مدعى قد انتفعت بصوتها فهو أجر قولك !

ويروى عن جحا فى هذا الموضوع نوادر شتى ، منها :

المدعى (مشيراً إلى المدعى عليه) لقد كان هذا يحمل ثقلا فوقع من ظهره ، وطلب إلى أن أعاونه ، فسألته عما يعطينيه قال « لاشئ » فرضيت بها وحملته الثقل ... ولذا فإنى أطالب من المحـكمة إلزام المدعى عليه بتأدية « لا شئ » لى

جحا (وهو القاضى) — دعواك صحيحة يابنى ! .. تقرب منى وارفع هذا الـكتاب .. ماذا تجد فى أسفله ؟

المدعى — لا شئ ..

جحا — خذها إذن وانصرف !

ويلاحظ أن القرارات التى كان يصدرها جحا لم تكن من نوع القرارات القراقوشية التى لا تتفق مع قواعد العدالة .. ولئن كان ظاهرها موصوفا بطابع الهزل فإن باطنها كان محبوكا بأنسجة الحق والصدق .. فلم يكن جحا ليمزج الحق بالباطل أو يخرج الصدق بالمين إلا على سبيل الملاطفة .. جاءه يوماً رجل وقال له :

— إن ثوركم نطح ثورى فهلك ! فهل يلزم الضمان ؟

فقال جحا : كلا ! فإن دم العجماء جبار ...

فقال صاحب الثور : عذرا لقد أخطأت ، فإن ثورى هو الذى نطح ثوركم !

وعندها قام جحا منزعجا وقال :

— هات لى الـكتاب الفلانى ، فقد تغير وجه الادعاء

وأبدع جحا مرة فى الإجابة عن بعض الادعاءات المتناقضة بقول حاسم جميل ، لقد جاءه أحد المتخاصمين يبسط له النزاع ويبرئ نفسه ويدين خصمه . فقال له جحا : « نعم إنك على حق » ، وبعـد قليل جاء المتخاصم الثانى وبدأ يشرح له الأسباب ، فقال له جحا : « نعم إنك على حق » ، فاستغربت امرأته من ذلك وقالت له : لقد جاءك المتخاصمان فقلت لـكل منهما إنك على حق ! ولئن كان أحدهما محقا فى دعواه ، فإن الآخر ولاشك غير محق فيها ، فالتفت إليها جحا وقد تدارك الجواب :

« نعم ولـكنك على حق »

كركوك عطا الله رزى باشى

(١١) الفرمان هو الارادة السنية التى كان يصدرها السلاطين العثمانيون فى أمر تولية بعض المهام الرسمية

زعماء التاريخ

مصطفى كمال أتاتورك

للأستاذ عبد الباسط محمد حسين

« لم يكن مصطفى كمال رجلا من رجال المصادفة والحظ . . يرفعه إلى البطولة خلو الميدان . . ويدفعه إلى الزعامة غباء الأمة . وإنما كان من الصفوة المختارة الذين يضع الله فيهم الهداية للقطيع الذي يوشك أن يضل . . والحيوية للشعب الذي يأبى أن يموت . » الريات بك

— ٦ —

انتهى الكفاح المسلح ... وخرجت تركيا من الحرب منتصرة ظافرة . . وبذلك بدأت الحياة تدب في قلب الوطن التركي من جديد . . واضطر الحلفاء أن يعترفوا باستقلال الأتراك .. ويعيدوا إليهم حريتهم المسلوبة .. وأراضيهم المحتلة .

(١) ومن عجيب المتناقضات . . أن هول هذه النكبة التي حاقت باليونانيين .. كانت أكبر سبب في إزالة العداء بينهم وبين الأتراك . . وإنشاء علاقات ودية بين حكومتي أنقرة وأثينا . . وهكذا نفذ مبدأ تقرير المصير عن طريق السيف والنار..والذبح والتدمير !

وإن الباحث في تاريخ الحركة الكمالية يرى أن هناك ظروفا — لم تخل من مزايا — ساعدت مصطفى كمال وأتباعه .. على الوصول إلى هذه النتيجة الباهرة . . التي لم يكن يتوقعها الأتراك أنفسهم

وهذه المزايا يمكن تلخيصها فيما يلي :

(٢) أولا : نجد الترك في سنة ١٩١٩ — ١٩٢٠ قد تخلصوا — إن طوعا وإن كرها — من عبء إمبراطوريتهم .. وكانت عبئا أثبتت الحوادث أنه لم يكن لهم طاقة بحمله

ثانيا : في الحروب الماضية لم تنفذ الأطماع الأوربية إلى أرض الوطن التركي نفسه . أما عند نهاية الحرب العالمية .. فقد قسمت تركيا إلى مناطق نفوذ بين الدول الكبرى . . فكان لذلك أثر كبير . إذ دبت في صدور الأتراك عاطفة وطنية قومية .. تهدف إلى استقلال الوطن .. لا إلى استعباد الغير ..

ثالثا : انهكت الحرب العالمية قوى المتحاربين جميعا لا فرق في ذلك بين المنتصرين والمنهزمين . . ولذلك لم يعبأ الرأي العام في الغرب بغضب رجال السياسة .. ولم ينل اليونانيون مساعدة جدية . . من جانب الحلفاء . . . مما ساعد الكماليين في حركتهم القومية

رابعا : عملت الحكومة البلشفية في روسيا على تشجيع الكماليين ومساعدتهم .. علهم يتمكنون من إجلاء الحلفاء عن القسطنطينية .. وسد المنافذ للبحر الأسود

ويرى الأستاذ محمد شفيق غربال . . أن هذه المزايا الأربع .. كانت عظيمة الأثر . . كبيرة الخطر . . ولكن لا يقال هذا من عظمة مصطفى كمال .. وحسن بلاء أتباعه .. إذ لم تكن إذ ذاك واضحة وضوحها لنا الآن .. وكان قيامه بالحركة كله جرأة وإقدام وبعد نظر

وإذا أردنا أن ندرك عظمة الجهود التي قام بها مصطفى كمال . . فلنرجع إلى خطابه الذي ألقاه أمام حزب الشعب سنة ١٩٢٧ م .. والذي جاء فيه .. « وهناك أمران مهمان في صدد هذه الفترة .. أولهما : أنه كان يسود في الأذهان فكرة وجوب عدم إغضاب الدول الكبرى المنتصرة » . أثناء البحث في وسائل الخلاص . . وكانت فكرة عجز الأمة عن الوقوف أمام واحدة منها ... فضلا عن الجميع ... راسخة رسوخا قويا في الأذهان . . ولم يبعد منه شيء أبعد عن المنطق والعقل في نظر الناس من الوقوف في وجه قوى الحلفاء

أما ثانيهما : فهو الارتباط التام بمقام السلطان الخليفة انسياقا وراء التقاليد الدينية والوطنية التي مرت عليها الأجيال . . ولم يكن أحد قادرا على فهم معنى الخلاص من غير الخليفة . . وكان من يشذ عن هذا المفهوم .. يتهم باللادينية.. واللاوطنية.. والخيانة ... »

ومع هذا الفساد في الحكم .. والتشاؤم من المستقبل المظلم القاتم . . وفقدان الثقة بعظمة الأمة التركية وحيويتها . . كانت خطب الزعيم مصطفى كمال . . وأقواله المأثورة منذ أوائل الحركة

(١) هـ فشر : تاريخ أوروبا في العصر الحديث : ص ٥٨٤

(٢) محمد شفيق غربال بك : دائرة المعارف الاسلامية المجلد ٥ تركيا

النضالية وفى أثنائها . . وبعدها . . تدل على أن ما صدر عنه من توجيهات . . وأعمال قضائية . . وسياسية . . وانقلابية . . وإصلاحية . . فى مختلف النواحى . لم يكن مرتجلا ، وإنما كان يدل على عظمة حقيقية

بعد أن انتهى مصطفى كمال من تحقيق غرضه الأول . . وهو الحصول على استقلال الوطن التركى . . بدأ ينظر فى حالة البلاد الداخلية . . فكان أول عمل قام به هو الفصل بين السلطنة والخلافة . . وإلغاء السلطنة نهائيا من البلاد

أخذ يخطب فى المؤتمر الوطنى . . وقال للنواب : « إن السلطنة شئ . . والخلافة شئ آخر . . ولا بد من الفصل بينهما وإلغاء الأولى . . »

وحينما طال الاجتماع — وكثرت المناقشات . . ضجر مصطفى كمال من طول الانتظار . . فاقتحم القاعة وقال . « لقد اغتصبت السلطنة العثمانية السلطة من الشعب . . ومن حق الشعب أن يستردها . . ويفصل بين السلطنة والخلافة . . ويجب عليكم أن توافقوا على هذا القرار . . وإلا كلفتكم المعارضة ثمنا غاليا هو ... رؤوسكم . . » وما أسرع ما وافق الأعضاء . . وألغيت السلطنة . . وعزل السلطان وحيد الدين . . ونصب مكانه عبد المجيد خليفة للمسلمين . . دون أن تكون له صفة سياسية . . وبعد فترة قصيرة . . أعلنت الجمهورية . . وأصبح مصطفى كمال رئيسا لها . . ورئيسا لأركان حرب الجيش . . ورئيسا لحزب الشعب ... »

نظر مصطفى كمال بعد ذلك إلى منصب الخلافة . . وكان يعتقد بعبث وجوده . . خصوصا وأن زعماء المعارضة بدأوا يتخذونه محورا لحركاتهم . وعملوا على تقويته بمختلف الوسائل ، وكانت خطتهم تقضى بإعادة السلطة الزمنية للخليفة ، وجعله سلطانا على الأتراك ، وفى سنة ١٩٢٤ ، قرر المؤتمر إلغاء الخلافة وحرمان الخليفة المخلوع ، وأفراد العائلة العثمانية ذكورا وإناثا ، من الإقامة داخل حدود الجمهورية إلى الأبد

عمل مصطفى كمال بعد ذلك على إلغاء الطرق الصوفية ، لأنه رأى ما لمشايخ الطرق من تأثير على الجمعيات والاجتماعات السرية ، والدعوة إلى المظاهرات ، وإثارة العصبية الدينية ضد العهد الجديد ، وفى سنة ١٩٢٥ ، صدر قانون بإلغاء الطرق ، وإغلاق الزوايا ، ومما قاله مصطفى كمال فى ذلك ، « إن هذا الظرف كان من خير الظروف للقضاء على هذه الخلافات البغيضة التى شوهت الدين ومبادئه ، وجعلت أماكنه أوكار جهل وعبث وفساد ... » كما أصدر تشريعا يقضى بمنع الإسراف فى الأعراس ، ومما جاء فى هذا التشريع ، « منع إقامة الأفراح لأكثر من يوم واحد ، ومنع إقامة مآدب أفراح عامة ، ومنع إهداء العروس أكثر من ثوبين ... »

وعمل أيضا على منع تعدد الزوجات ، وتعليم البنات ، وقد نص الدستور على التعليم الإجبارى للأنثى كالذكر تعليما ابتدائيا ، ويعتبر هذا التشريع خطوة كبرى أدت إلى سفور المرأة التركية ، وخروجها إلى ميدان الحياة ، ولم يقتصر على ذلك ، بل نادى بتغيير الزى بما يتناسب وروح العصر ، وجعل القبعة غطاء الرأس لجميع أفراد الشعب التركى . . كما أصدر قانونا بإلغاء الرتب والألقاب ، واكتفى بأن جعل لكل عائلة لقبا تعرف به ، وبذلك عرف باسم « أتاتورك » أى والد تركيا

حقا : لقد كان مصطفى كمال ، والد تركيا ، وزعيمها الأكبر ، فإليه يرجع الفضل فى نهضتها السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، فهو الذى جدد معالمها ، وخلقها خلقا آخر ، وجعلها من أقوى الدول الشرقية

ومما عرف عنه ، أنه كان يكره أن يعزى إليه كل الفضل فى بناء صرح النظام الجديد ، بل يعزو نجاحه إلى وطنية الشعب التركى ، وإخلاص رفاقه القائمين معه بأعباء الدولة ، وكان يكره أيضا أن يوصف عهده « بالكمالى » ، أو أن يقال إن الشعب التركى ينتمى إلى الحزب الكمالى ، وذلك لأنه يعتقد أن ليس فى البلاد حزب كمالى ، وحزب غير كمالى ، لأن الشعب كله حزب واحد ، هو حزب الوطن ، يسعى لخير الأمة ، ويعمل على رفع منارها

ولقد كان للأتراك فى مصطفى كمال ثقة عمياء ، وقد سئل أحدهم عنه مرة فقال « إنه صفوة الرجولة التركية ، ونموذجها

مجال الدعوة الاسلامية

يجب أن يشمل المجموعة البشرية

الاستاذ أحمد عوض

مهداة إلى الأستاذ سيد قطب

كان من أثر الاستعمار فى البلاد الإسلامية أن سلبها حريتها ، وألزمها خطة الانطواء على النفس ، وركز فيها سوء الظن ، وحرمها مزية التعاون ، وكفها عن نشر دعوة ألزمهم دينهم نشرها ؛ هى دعوة الإسلام

والإسلام دين لم يخص من الناس فريقا دون فريق ، ولا على بطائفة دون أخرى ، وإنما أنزل على قوم كلفوا بأن يوسعوا مجاله بنشر تعاليمه حتى تشمل الكافة . وعلى كل من ينضم إليه أن يشارك السابقين إليه فى الدعوة إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة ، وبالجدل بالتى هى أحسن

لكن الدعوة إلى تعاليم عالية تستلزم أول ما تستلزم ضروبا من الحريات ، منها حرية الكلام ، وحرية الاجتماع ، وحرية العقيدة

وهذه الحريات جميعا وسائر الحريات كبحها الاستعمار وبخاصة ما كان منها مؤديا إلى دعوة عالية ، فالاستعمار منفعة خاصة أساسها أنانية المستعمرين على حساب حريات الإنسانية العامة .

وفرط المسلمون فى حق أنفسهم وحق دينهم بما أهلوه من التسلح بكافة الأسلحة ، معنويها وماديها ، فغلبهم المستعمرون على أمرهم ، وكبتوا مشاعرهم ذلك الكبت الذى لم يصل وان يصل إلى أصل العقيدة ، ولكنه وصل إلى وسائل نشرها ، فلم يقو الاستعمار على رغم بطشه وظلمه على انتزاع الاسلام من الصدور ، ولكن قوته كانت كافية لمنع المسلمين من توسيع مجال الدعوة إليه ، وهذا ركن أساسى فيه

واكتفى المسلمون قرونا بالتحدث عن مزايا الاسلام بين المسلمين ، حديثا مادام بين مسلم ومسلم ، فهو لا يشرح العقيدة الفروغ بين المسلمين من اعتقادها ، وإنما يشرح الطقوس والشكليات ، لأن هذه هى التى يحتاج الفروغ من أمر عقيدته الاسلامية إلى الاستزادة من معرفتها . وبذلك أصبحت الدعوة بين المسلمين قاصرة على العبادات والمعاملات ، وهى عظيمة الشأن ما فى ذلك من شك ، ولكن روح الاسلام وأهدافه الجماعية — وهى التى من أجلها أنزل — أصبحت مهملة ، لأن الكلام فى الدين أصبح بين مفروض فيهم التمتع بها ، بتلك الروح والمعرفة بهذه الأهداف

لكن لا هذه ولا تلك ولا المعاملات ولا العبادات ولا أى شئ فى الحياة يمكن أن يصل إلى كماله أمام العقبات التى أوجدها الاستعمار من كبت الحريات ، ومن نشر الجهل والمرض والفقر

والآن وقد أكلت النار نفسها حين لم تجد ما تأكله ، وتناقصت قوى الغرب المستعمر بما تناقص إيمانه بالله وتمسكه بالفضائل ، فأصبح لا يكاد يستقر فى حكم نفسه حتى يستقر فى حكم المستعمرات . والآن وقد أحس المفكرون فى الغرب بأن الحضارة التى أقاموها على الماديات توشك أن تنهار ، فقد انتقمت الفضائل المهملة لنفسها ، وتزعزعت عقائد الماديين بالمادة ، وبشر الاسلام بنفسه حين أكره المسلمون على الكف عن التبشير له

والآن وقد بدأ المسلمون يستروحون نسيم الحرية بما أضعف خصومهم ، فانصدعت قيودهم ، واتسعت حدودهم ، فإنهم يجدون فى الغرب عقائد دينهم تمشى على أقدامها هى لا على أقدام المسلمين . وللفكرة أقدام وأيد ولها أيضا أجنحة ، وأن

المعصوم عن كل خطأ » لقد كان مصطفى كامل زعيما وطنيا مخلصا ، أحيا وجاهد ، وأصلح وشرع ... « ولم يكن رجلا من رجال الصدفة والحظ ، يرفعه إلى البطولة خلو الميدان ، ويدفعه إلى الزعامة غباء الأمة ، وإنما كان من الصفوة المختارة الذين يضع الله فيهم الهداية للقطيع الذى يرشك أن يضل ، والحيوية للشعب الذى يأبى أن يموت ... »

الاسكندرية عبد الباسط محمد حسنه

أهملنا أن نعطى من مزايا الاسلام ، فقد أكره الغرب وإن لم نعطه منها على أن يأخذ هو ، وشتان بين أخذه من ماديتنا ذلك الأخذ الذى ينتقص من تلك الماديات ، وبين أخذه من معنوياتها ذلك الأخذ الذى يزيدها ويباركها ، والدين كالعلم يزيد مع كثرة الإنفاق ، والآن أمام هذا كله أصبح فى الغرب من يبشرون بالاسلام ، أو بركن من أهم أركان الاسلام ، هو نواحيه الخلقية ، ودائرته الجماعية ومساواته بين الخلق كافة فى الحقوق والواجبات ، ودعوته إلى السلام ، وتحريمه الحرب إلا دفاعا

بدأنا نتحرر ، وبدأنا نستطيع استئناف ما وجب علينا ، ولا يزال مستمر الوجوب من الدعوة إليه ، فهل يقضى المنطق بأن نصحح أخطاء الداعين دعوتنا ، ونكمل النقص إذا كان هناك ثمة خطأ أو نقص ، أم نظل نحن المنوطة بنا رسالة الدين من بين المدعوين المستعمين ، أم نظل مقتصرين على الدعوة للاسلام بين المسلمين ؟

ماذا يجب على المفكر المسلم الملم بلغات الغرب حين يقرأ فى تلك اللغات دعوة إلى مبادئ دينه ؟ أيناهضها لأنها « من الخارج » أم يدعو الداعين ويجادلهم بالتى هى أحسن

ليس هناك إسلام أجنبى ، بل ولا إسلام عربى ، وإنما هناك رسول عربى بكتاب عربى من عند «الله» ، كلف المسلمون أن ينشروا تعاليمه فى أرجاء العالم الفسيح ، ومن أركان الإسلام : الشهادتان والصلاة والصوم والزكاة وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا

نعما ونعم هى ، ولكن الاسلام الذى هذه أركانه والذى كتابه قرآنه ، قد نص على سبب نزوله ، وهو الهدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ، ونبيه المبعوث بين سبب بعثته بأنها إتمام مكارم الأخلاق

وبعد فالحركات القائمة فى أوربا وأمريكا لنشر فضائل الدين الاسلامى ، لا تهدف إلى مزاحمة ديننا ، وليست مذهبا فى هذا الدين ، وهى لا تزيد فيه ولا تنقص منه ولا تبتغى التأويل ، وإنما القوم قد أسرفوا فى ماديتهم واستعزوا بها ، ومن استعز بشئ أورثه الله ذله ، فاتجهوا إلى الدين ، إلى دينهم أولا فوجدوا من الهداية بالمحبة والتسامح والتضحية ، ولكنهم فطنوا بعد ذلك إلى أمور نص الاسلام فيها أصرح وأوضح ، فالاصلاح المنشود سبيله فى الاسلام التغيير . تغيير المرء ما بنفسه حتى يغير الله ما به . ولئن دعاهم السيد المسيح فيما ينص عليه إنجيلهم أن على الذى يحبه أن يحمل صليبه ويتبعه ، فإن القوم قد لهجوا بالآية القرآنية

ولئن فطن القوم إلى أن علة شقائهم هى التنازع فيما بينهم على المستعمرات ، والعداوة التى وجهها العالم إليهم سببها التنازع بين الطبقات وبين الألوان وبين الأديان ، فقد لهجوا بما نص عليه القرآن من أن أفضلكم عند الله أتقاكم ، وما نص عليه مبعوث هذا الدين من أنه لا فضل لحر قرشى على عبد حبشى إلا بالتقوى وقام فيهم من يدعو ، لا إلى اعتناق الاسلام على صورة غير صورته ، ولا إلى نسبة شئ إلى الاسلام ليس فيه ، ولا إلى إخراج لفظ فى الاسلام عن معناه ، بل إلى روح الدين وإلى الفضائل الشائعة بينه وبين سائر الأديان

ولكنهم أخذوا بعضه ، فهل ندلهم على باقيه ؟ أم لا نزال بأنفسنا من أثر الاستعمار بقية تلزمنا الانطواء على النفس ؟

إنهم يريدون محاربة الشر بمثل سلاحنا ، بسلاح الخلق . فهل نحارب الشر معهم به ؟ قبل أن ننطق بالجواب يجب أن نسائل أنفسنا ، أين منا موضع الدعوة ومن الذى ندعوه وكيف ندعوه ؟

ليس فى أمريكا ولا أوربا إسلام أمريكانى ولا أوربى ، وإنما فيها اليوم أكثر من دعوة لنشر فضائل الدين الاسلامى ولكن فى مصر وفى سائر البلاد الاسلامية من يهملون الدعوة إلى الاسلام تاركين هذا الواجب لدخلاء عليه مستغلين له مستغرين لغايات استعمارية ابتغاء منفعة شخصية كما قال بحق الأستاذ سيد قطب فى افتتاحية العدد الأخير من الرسالة

هؤلاء يجب أن يحاربوا ولكن يجب أن نفرق بين هؤلاء وبين الداعين مخلصين لمبادئ إسلامية لم يجدوا غيرها وسيلة لمحاربة المادية ، استعمارية كانت أو شيوعية ، ولانتشال المدنية مما جنى عليها من المطامع الأشعبية

أحمد هوصه

دراسة وتحليل

الجواهري شاعر العراق

للأستاذ محمد رجب البيومي

— ٣ —

أما الأوضاع الاجتماعية في الشرق العربي فقد شغلت الشاعر شغلا عنيفا حتى أتعبته ، فقد دار بعينيه فيما حوله فوجد العطب يدب في كل مكان ، والظلم يخنق الرقاب بقيد حديدي ثقيل ، وقد تعددت مظاهر الفساد ، فلم تقتصر على شكل واحد ، واختلفت أماكن الداء فلم تخيم في بقعة واحدة ، ولكنها سلاسل ممتدة مشدودة ، لاتجد الرقاب والأيدي والأرجل منها بعض الفكاك ، والجواهري لايفرد النواحي الاجتماعية بقصائد خاصة تكشف عن مساوئها الخاطئة ، بل يقرن الشعب السياسي بالفوضى الاجتماعية في قصائده الملتهبة ، فلولا الانحطاط الاجتماعي الشائن في الشعوب المحتلة ، ماوجد المستعمرون وأذنابهم ماء عكرا للصيد ، ولولا فساد الساسة وأنانية القادة مارزحت الدول تحت كابوس ثقيل من الجهل والمرض والحرمان ! وكان شاعر الفرات يتأوه تأوها مريرا لما تقابل به صيحاته من دس وانهام ، فقد علم المستعمر أذنابه أن يقاوموا حركات الإصلاح في كل شعب ، فكل ناصح مخلص ثائر مخرب ، وكل مدافع عن دينه ووطنه هدام ثوري يدين بالمبادئ الخطيرة المتطرفة ، حتى التبس الأمر على السواد ، ودفعهم الجهل إلى التردد في قبول النصائح وإحلالها محلها اللائق من القبول والانصياع .

فالوعي بغي والتحرر سبة والهمس جرم والكلام حرام

ومدافع عما يدين مخرب ومطالب بحقوقه هدام

وقد كانت الشيوعية — ولازالت — أقرب تهمة وأيسرها على المحتلين وأشياعهم ، فما يكاد أحد في الشرق العربي ينطق بكلمة في الإصلاح ، حتى يتهم اتهاما خطيرا بما لايقصد إليه بحال ، واضطر الساسة جريا وراء مآربهم الذاتية أن يربطوا عجلتهم الضعيفة الواهية ، بعجلة إنجلترا القوية السريعة ، ووقف الدب الروسي رمزا للخوف والهلع والإزعاج ، كأن الأسد البريطاني المتوحش لايؤذي أحدا من الضعفاء مع أن ضحاياه في الشرق من تسعين عاما قد ملأت المقابر بالأشلاء ، والطرق بالدماء . ولايزال المغرضون يفيئون إلى حنانه الكاذب وعطفه المزعوم .

شدوا بذيل غراب أمة ظلمت

تطير إن طار ، أو تهوى إذا وقعا

وخوفوها بدب سوف يأكلها

في حين تسعين عاما تألف السبعا

وضيقوا أفق الدنيا بأعينها

بما استجدوه من بغي وما ابتدعا

وذاك معناه أن يبيعوا كرامتكم بيع العبيد بتشريع لكم شرعا

ورغم هذه التهم الكاذبة شق الشاعر طريق الإصلاح في صلابة وإيمان ، وقد حارب ببراعة المكافح في جبهات متعددة ، وحمل المشعل في يده يطارد الظلام في كل مكان ساخرا بالعواصف ، متحديا جميع الصعاب !

ففي جبهة أولى يقف أمام الفقر فيحلل أسبابه ، ويكشف عن علله ، ويرمي بنظره في هذه الكتل المتراصة في الشوارع وقد كساها الجوع لباسا أصفر شاحبا هزيلا تمد الأيدي السائلة وتتبع الفتات في القمامات كما تتبعه الحيوانات ، وتقف أمام القصور الشامخة منحنية ذليلة تتطلب الكفاف مما يرمى إلى الكلاب المدللة !! وقد مسح الفقر من نفوسها معاني الكرامة والعزة والإباء ، وفي داخل القصور الممردة نفوس تبترد بالخمور ، وتتجمل بالحلي والعطور ، وأخونة تمتد بالطيبات من المطاعم ، وليالي حمراء مرنة بالقصف والرقص ، مغردة بألحان الفتيان ، مضيئة بوجوه الكواكب الحسان ! فشتان بين أولئك وهؤلاء

عجبت لخلق في المغارم رازح يقدم ما تجني يداه لغانم

وأنكأ من هذا التفاني قرحة فباوة مخدوم وفطنة خادم

لو اطلعت عيناك أبصرت مأتما أقيم على الأحياء قبل المآتم

إذا أقبل الشيخ المطاع وخلفه
من الزارعين الأرض مثل السوائم
قياما على أعتابه يعطرونها خنوعا وذلا بالشفاه اللواثم
حنايا من الأكداح تلق ظلالها
على مثل جب باهت النور قاتم
أمبتردات بالخور تثاجت وبالماء يغلى بالعطور الفواعم
ومفترشات فضلة فى زرائب يوسدها ما حولها من ركائم
أمن كدح آلاف تفيض نعاسة يتمتع فرد بالنعيم اللازم
سياسة إقفار ، وتجويع أمة وتسليط أفراد جفاة فواشم

وفى جهة ثانية يحارب الجهل فيعلن أنه أس المصائب وشر لمحن ، فلولاه ماتهش الجوع نهشا فى النفوس الكادحة ، ولولاه ما حيكت الدسائس والمؤامرات للشعوب فى ظل من الخداع والابتسام ، ولولاه ما وطد المستعمر قلاعه وأقام بناءه الراسخ ، ولولاه ماأقفلت المصانع والمتاجر وأصبحت الوظيفة الحكومية مناط الآمال ومبعث الرجاء ، ولولاه ماقيدت الجموع اللاغية حفاة عراة لراكب ، ولولاه ماحاز أشباه الجهلة من المتعلمين أسمى المناصب ، وأعظم الألقاب ، ولولاه ما كانت الأفواه الناطقة ، واحتجزت الألسنة الصارخة عن كشف المثالب والهنات !! وأخيراً لولاه ماتدهورت الشعوب العربية إلى ما انحدرت إليه من ذلة وهوان فزا الجهل أرض الرافدين فخلها
كثير المرايا مستجاش الكتائب
طليعة جيش للمصائب هددت كرامته ، والجهل أم المصائب
وما خير شعب لست تعثر بينه على قارئ من كل ألف وكاتب
تمشى بجر الفقر ردفا وراءه
وأنعس بمصحوب وأنعس بصاحب
فكان لزاما أن تحوز عصابة تربت يزى العلم أعلى الرواتب
وكان لزاما أن تتم سيادة عليه لأبناء الذوات الأطايب
وكان لزاما أن تعطل صنعة
وأن يصبح التوظيف أعلى المكاسب
وكان لزاما أن تقاد جموعه حفاة عراة مهطعين لراكب
وأوجع ما يصمى الغيور مقاصر
أطلت على محجورة فى الزرائب
يبين على الحيطان شرخ نعيمها وتغمرها اللذات من كل جانب
وتحيا ليالى الرقص فيها خليعة
تكشف عن سوق الحسان الكواعب
وتلك من الإدقاع تفسد الثرى يلاعب جنبيها دبيب العقارب

والجواهرى قد حارب الجهل كما تقدم محاربة عنيفة ، يحمل سوطه فى يده ويهوى به على النشء المثقف من المتعلمين ! فيعجب القارئ بادئ ذى بدء لهذا الثائر الذى لا يرضى عن أحد ، ولكنه ينصت للشاعر فيجده صاحب حق فى جميع أقواله ، فلا تناقض بين ما يقوله فى شىء ، إذ أن النشء المثقف فى العراق وغيرها لم يحققوا الآمال المعقودة عليهم فقد رأوا كثيرا من الخرافات فلم يجلوا ظلامها الحالك عن النفوس ، وشهدوا الأوضاع الظالمة — فى عالم السياسة والاجتماع — فلم يحاولوا أن يقفوا أمامها وقوفا ينذرها بالتصدع والانهيار ، بل ربما ساروا فى ركابها سيرا مشينا ، وقذفهم التيار إلى لججها الزاخرة ، فهزوا مع القواة وأساموا سروح اللهو حيث أساموه ، والشاعر يرجع ذلك كله إلى التربية نشأ عليها التلميذ فى مدرسته ، فقد وجد من الأساتذة من لا ينير طريقه ويكشف ليله ، ومن المناهج قشورا بالية يعنى وضعها المستعمر ، فليست تقوم خلقا أو تحيى كرامة ، بل تخلق فى مائعا يعنى بهندامه كملبسه ، ويتشبه بالنساء فى عطوره وزينته ، ويمشى متخاذلا مدلا تغمره الأحاسيس الناعمة . وتقوده العواطف الرقيقة وقد يتنامى رجولته فيلجأ إلى التحدث والتبذل والعربدة ، فخطرات النسيم تجرحه ، ولمس الحرير يكلم راحته ، وقد مات شعوره فلم يفكر فى ضحايا قومه ، وصرعى معشره ، كأنه ليس منهم وليسوا منه ! فيصير هؤلاء المأسيخ المشرهون خلقا وعقلا معقد آمال ومبعث حياة ، أم يسيرون بأممهم إلى الوراء مئات الأميال ، ويهوون بها إلى الحضيض السحيق فى أغوار الظلام !

هلم إلى النشء المثقف واكشفوا
حجابا يغطى نفسه وقناعا
تروا كل مفتول الذراعين ناهدا قصيرا إذا جد النضال ذراعا
وكل أنيق الثوب شد رباطه إلى عنق يمشى العيون لماعا
يموج إذا مس الهجير رداءه كما انحل شمع بالصلاء فماعا

تراه خلى البال أن راح داهنا وأن قد ذكا منه الأريج وضاعا
وليس عليه ما تكامل زيه إذا عرى الخلق الكثير وجاعا
وأن راح سوط الذل يلهب أمة كراهية يستاقها وطواعا
ولم تشجه رأيا وسمعا قوارع يسوء عيانا وقعها وسماعا
ورب رءوس برزة عششت بها خرافات جهل فاشتكين صداعا
بهـا نومتنا الأمهات تخوفا وما أيقظتنا الحادثات تباعا

وكما حنق الجواهرى على المثقفين من بنى وطنه ، حنق على بعض رجال الدين من ذوى العمائم المعتدة ، والمذبات الطويلة ، إذ أن رجل الدين الصادق فى رأيه هو الذى يغير المنكر بيده ولسانه وقلبه ، فيكون ثائرا إن دعا الأمر للثورة ، وسائلا حين يتحتم السيال ، وقد تزيى بلباس الدين أقوام من مشايخ الطرق وأصحاب الأذكار والأوراد ، وهم لا يفهمون قليلا عن روح الشريعة ولباب الإسلام ، وصادفوا من العامة ثقة غالية ومنزلة رفيعة فحرفوا الكلم عن مواضعه ، وابتدعوا البدع ابتداعا ، وجسموا الأوهام تجسيما يدعو إلى الذعر والهلع ، ومسخوا روح الدين من النفوس ، وساعدوا الطغاة والآثمين ، فكانوا مطاياهم السريعة فى التنويم والتخدير ، وزاد الكارثة هولا أن هؤلاء الأدعياء لا يتورعون عن الآثام فى حقير أو جليل ، فهم يقترفون الموبقات ، وينتهكون المحارم ! ويتصيدون الرشى والأموال من سبل مريبة ، حتى فاح النتن الآسن منهم على الناس ، ولابد لهذه الشرذمة من نقد عاصف يكشف زيفها الخاتل ، ويطمس بريقها الأخاذ ، فاندفع الجواهرى يندد بهم فى قصائده الثائرة كأن يقول

تحكم باسم الدين كل مذمم ومرتكب حفت به الشبهات
وما الدين إلا آلة يشهرونها إلى غرض يقضونه وأداة
وخلفهمو الأسباط تترى ومنهمو لصوص ومنهم لاطة وزناة
وما كان هذا الدين لولا ادعاؤهم لتمتاز فى أحكامه الطبقات
أتعجبى ملايين لفرد وحوله ألوف عليهم حلت الصدقات
وأعجب منها أنهم يذكرونها عليهم وهم لو ينصفون جباة

والشاعر لا يترك سبيلا للتنديد بهم إلا سلكه وأوغل فيه ، ولو لم تسكن مناسبة الكلام قوية ملحة ، فعندما احتفلت البلاد بالذكرى الألفية لأبى العلاء المعرى ، وذهب الشاعر إلى دمشق ليلقى قصيدته باسم العراق ، لم يشأ أن يقصر الحديث على روائع الفيلسوف وآثاره ، بل حلل آراءه الاجتماعية تحليلا شعريا يمس اللباب الخالص ، ويشع مومضا بمختلف الإيحاء والإلماع ، وكأن شاعر الفرات يجد الراحة الهانئة فى التنفيس عن مشاعره المتزجية بمشاعر أبى العلاء ، والناس هم الناس فى كل زمان ومكان ، فما أغضب المعرى من أوضاعهم الشائنة قد أغضب الجواهرى بعد ألف عام !! وكان لأدعياء الدين نصيبهم الوافر من النقد والتجريح ، فحفلت قصيدة الجواهرى بفوارس لاذعة تسيل دماءهم وتحطم كبرياءهم ، وتوغر صدورهم ، وما عليه وقد وافق أبا العلاء فى رأيه ، وجرى معه فى سنن واحد حين أهدى إلى روحه هذه الأبيات

وهؤلاء الدعاة العاكفون على
أوهامهم صنما يهدونه القربا
الخابطون حياة الناس قد مسخوا
ماسن شرع وما بالفطرة اكتسبا
والقاتلون عثانينا مهرأة
ساءت لمحتطب مرعى ومحتطبا
والملصقون بعرش الله مانسجت
أطماعهم بدع الأهواء والريبا
والحاكمون بما توحى مطامعهم
مؤولين عليها الجد واللعبا
على الجلود من التدليس مدرعة
وفى العيون بريق يخطف الذهبا
أوسمتهم قارصات النقد لاذعة
وقلت فيهم مقالا سادقا عجبا
صاح الغراب وصاح الشيخ فالتبست
مسالك الأمر أى منهما لعبا

يتبع

محمد رجب البيومى

شوقيتان لم تنشرا فى الديوان

للاستاذ عبدالقادر رشيد الناصرى

— ٢ —

اطلع القراء فى العدد السابق من الرسالة الغراء على درة من درر شوق التى تجمع إلى أخواتها فى دواوينه الأربعة المطبوعة ولم تضم إلى شعره المتداول بين أيدى القراء فى جميع البلدان الناطقة بالضاد ، وكنت وعدتهم فى ذيل مقالى السالف أن أقدم لهم فى هذا العدد شوقية أخرى من تلك الشوقيات الفذة التى لم تتفتح عنها غير قريحة أبى على ، وهذه القصيدة الجديدة عثرت عليها فى مجلة أدبية قديمة يرجع تاريخ صدورها إلى سنة ١٩٢٨ أيضاً. أما اسم المجلة فلا أعرفه لأن أكثر صفحاتها الأولى والأخيرة كانت ممزقة ، وأما كيف عثرت عليها فتفصيل الخبر أنى كنت فى يوم من الأيام فى سوق الوراقين ببغداد أنقب بين الصحف القديمة التى تعرض للبيع بالأكوام فلفت نظرى صديق إلى مجلة ممزقة كانت بين يديه وهو يشير إلى بعض بحوثها فلما أخذتها منه وتصفحتها عثرت فيها على قصيدة أميرنا مدرجة . وكم كان سرورى عظيما عندما راجعت دواوينه فلم أعثر لها على ذكر ! فقلت فى نفسى هذه هدية قيمة لا تستحقها إلا مجلة الأدب الرفيع والشعر الخالد حيث تقدمها إلى أبناء العروبة

والقصيدة كما يراها القراء لا تختلف فى كثير أو قليل عن شعر شوق من جميع النواحى ، فالديباجة ديباجته ، والأسلوب أسلوبه ، والنفس واحد ، والصور والتراكيب والتعابير والموسيقى اللفظية واللفتة الشعرية البارعة كلها له ، وهى فوق كل هذا قصيدة عالية مشرقة بالرغم من أنها من بحر الرمل ، ذلك البحر الذى لا يجيد فيه من حيث متانة تركيب الأبيات إلا القادر من فحول الشعراء . ولا أذكر أنى — على كثرة قراءاتى للشعر — وقفت إلى شاعر نظم قصيدة من بحر الرمل وأجاد فيها أو أظهرها بديباجة متينة اللهم إلا شوق ، لأن هذا البحر على الرغم من سهولة النظم فيه لابد أن تأتى القصيدة فيه ركيكة مهلهلة الأبيات كما يحدث عند الكثير من الشعراء . لذلك يتجنب الفحول النظم فيه على العكس من البحور الأخرى كالكامل والوافر والبسيط حيث تأتى الأبيات قوية التركيب متينة الأبيات كأنها البنيان المرصوص . وأذكر أننى فى بدء نظمى الشعر كنت لا أقوله إلا على بحر الرمل لسهولته، ولكننى تركته بعد ذلك ولم أعد ألجأ إلى النظم فيه إلا ما ندر ؛ حتى الموشحات الغنائية التى أكثر من النظم فيها فإننى أترك الرمل وألتزم مجزوءه — نظرا للايقاع الموسيقى الذى فيه والجرس الراقص ، أما شوق فهو حتى فى هذا البحر يبدع ويجيد — خذ مثلا قوله

ارفعى الستر وحيى بالجبين ... وأرينا فلق الصبح المبين

واتركى فضل زماميه لنا ... نتناوب نحن والروح الأمين

ألا يرى معى القارئ القوة والمتانة التى تتخلل الأبيات على سهولتها وعذب موسيقاها ؟ أيستطيع أحد مهما بلغ من المقدرة البيانية والبلاغية ومطاوعة اللغة والقوافى له أن يضع لفظة بدل أخرى !! أنا أشك فى ذلك لأن الفحول من الشعراء عندما ينظمون حتى على هذا الوزن لا يتركون فيما يقدمونه مغمزا لناقد فيه ! وهكذا الحال عند شوق على خلاف غيره من شعراء عصره

قد يطول بنا القول إذا نحن قارنا بينه وبين غيره لأن المفاضلة والموازنة تحتاج إلى إيراد أمثلة تخرجنا عن الموضوع الذى نطرقه الآن ، لذلك نترك ذلك الحديث إلى مجال آخر وعسى أن يكون ذلك فى القريب

قلت فى بدء الكلام إن القراء تشوقوا فى العدد الماضى عطرياقة من أزهار أبى على . ويسرنى الآن أن أتحفهم بإضمامة أخرى قطفتها لهم من روضته وهى كما يرون نغمة عبقة كل شعره القطر الندى ، تزول جدة الدهور ولا تزول جدتها ، فان كان الورد لا تتفتح أكمامه إلا فى الربيع ولا يعبق نشره إلا فى أيار، فان شعر شوق فواح الأريج فى كل الفصول . فلنستأنف إذاً شذاه المواز

الشوقيـة الثانية

وهذه القصيدة الثانية قالها شوقي في جمعية الشبان المسلمين حيث ألقيت في حفلتها التي أقيمت بدار الأوبرا الملكية في ١٤ شوال من عام ١٣٤٧ هـ — ١٩٢٨ م

لم يضع صاحب المجلة عنواناً للقصيدة ولم يذكر المناسبة التي قيلت فيها ولكن القارئ يدرك من فحواها أنها نظمت لأجل جمع الإعانة لدار الأيتام التي قامت ببنائها الجمعية المذكورة على حد قوله :

ياشبابا حنفاء ضمهم منزل ليس بمذموم النزيل
يصرف الشبان عن ورد القذى وينجيهم من المرعى الوبيل

أو قوله

رب عرس مر للبر بما ماج بالخير وبالسمح النبيل
ضحك الأيتام في ليلته ومشى يستروح البر العليل
والقق البائس والنعمى به وسمى المأوى لأبناء السبيل

ومن أحق بالرعاية من اليتامى وأبناء السبيل ؟ ومن غير شوقي من شعراء عصره يستطيع أن يلهب أكباد الأثرياء حماسة ويضرب على المواطن الحساسة من شعورهم فيجودوا لهذا المشروع النبيل بالمال عن طيب خاطر ؟

إذن لنستمع إلى صناجة القرن العشرين وهو يوقع على أوتار قيثارته أغاريد الخير والحق والحنان ، في أسلوبه الموسيقي المشرق ونغماته العذاب إذ قال في ...

مهرجان اليتيم

هيذا الساحة والظل الظليل وثناء في فم الدار جميل (١)
لم تزل تجزى به تحت الثرى لجة المعروف والنيل الجزيل
صنع « إسماعيل » جلت يده كل بنيان على الباقي دليل
أتراها سدة من بابه فتحت للخير جيلا بعد جيل

* * *

ملعب الأيام ، إلا أنه ليس حظ الجد منه بالقليل
شهد الناس به « عائدة »
وشجى الأجيال من « فردي » هديل (٢)
وائتلفنا في ذراها دولة ركنها المؤدد ، والمجد الأثيل
أينعت عصرا طويلا وأتت دون أن تستأنف العصر الطويل
كم ضفرنا الغار في محرابها وعقدناه لسباق أصيل
كم بدور ودعت يوم النوى وشموس شيعت يوم الرحيل

* * *

رب عرس مر للبر بما ماج بالخير وبالسمح النبيل
ضحك الأيتام في ليلته ومشى يستروح البر العليل
والقق البائس والنعمى به وسمى المأوى لأبناء السبيل
ومن الأرض جديب وند ومن الدور جواد وبخيل

* * *

يا شبابا حنفاء ضمهم منزل ليس بمذموم النزيل
يصرف الشبان عن ورد القذى وينجيهم من المرعى الوبيل
اذهبوا فيه وجيئوا أخوة بعضهم خدن لبعض وخليل
لا يغرنكم قلته كل مولود وإن جل ضئيل

* * *

أرجفت في أمركم طائفة تهم الظن عن الإنصاف ميل (٣)
اجعلوا الصبر لهم حيلتكم قلت الحيلة في قال وقيل
أيريدون بكم أن تجمعوا رقة الدين إلى الخلق الهزيل ؟
خلت الأرض من الهدى ومن مرشد للنفس بالهدى كفيل
فترى الأسرة فوضى وترى نشأ عن سنة السبريل
لا تكونوا السيل جهما خشنا كالعاب ، وكونوا السلسبيل
رب عين سمحة خاشعة روت المشب ، ولم تنس النخيل

* * *

لا تماروا الناس فيما اعتقدوا كل نفس بكتاب وسبيل
وإذا جئتم إلى ناديكم فاطرحوا خلفكم العبء الثقيل

* * *

١ — الدار يقصد بها الأوبرا الملكية

٢ — عائدة — أسطورة مصرية قديمة مستقاة من تاريخ مصر وقد نظمها مصرحية غنائية ووضع ألحانها الموسيقار « فردي » الايطالي

٣ — ميل = الانحراف عن جادة الصواب

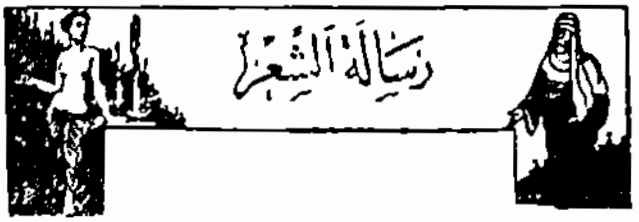

الشاعر

أنت حب ورقة وحنان ومن الحب عبقرى العطاء

« تهدى إلى الكاتب الكبير الذى أغار الشعر من النثر ، بما أراق عليه من عطر ، وأشاع فيه من سحر ، الأستاذ الجليل أحمد حسن الزيات بك » « أنور العطار »

للأستاذ أنور العطار

واهب عاش خالد الأصداء عمر الكائنات بالنعماء

هذه ليلتكم فى « الأوبرا » ليلة القدر من الشهر النبيل
مهرجان طوف « الهادى » به ومشى بين يديه « جبرئيل »
وتجلت أوجه زينها غرر من لمحة الخير تسيل
فكأن الليل بالفجر انجلى أو كأن الدار فى ظل الأصيل
أيها الأجواد لا تجزبكم لذة الخير من الخير بديل
رجل الأمة يرجى عنده لجليل العمل ، العون الجليل
إن داراً حطتموها بالندى أخذت عهد الندى أن لا تميل

إلى هنا تنتهى القصيدة ويبدو فيها شوق مرشداً ينصح شباب الجيل بعدم الطعن فى العقائد لأن الطائفية من شأنها التفرقة ، والأمة لا تستطيع الوثوب إلى الأمام ومماشاة ركب النهضة إلا بالاتحاد ، وأن الأمة التى لا تستطيع أن تهذب أبناءها وتجد لهم سبل العيش والثقافة ما هى إلا أمة مقضى عليها لا محالة وخصوصا إذا جمع أبناؤها « رقة الدين إلى الخلق الهزيل » لأن « الأمم هى الأخلاق » ولله دره حين يقول :

وليس بعامر بنيان قوم إذا أخلاقهم كانت خرابا

فشوقى إذن هنا مصلح اجتماعى يلبس مسوح الوعاظ ليقدم نصائحه ، وهكذا يجب أن يكون الشاعر الإنسانى حيث يؤدى رسالته على الوجه الأكمل

عبد القادر رشيد الناصرى

للهوى قلبه ، وللشجو عينا ه ، وللحالمين سحر الحداء
طافت الأرض فى رؤاه تصاوي ر ندايا بجدة ورواء
قيل لى صفه قلت : دنيا من الفن وكون من رفعة وازدهاء
ليس يدرى غير التسامح دينا فهو روح السخاء رمز الفداء
صاغه الله من حنان ورفق ودموع وصبوة ووفاء
صور الطبع خير من صور الطبـ ـع وغنى فى رقة وصفاء
يشرق البشر فى محياه نضرا ومن البشر أنفس الشعراء
ويرف المعنى النبيل على اللفـ ـظ رفيف السنا على الأنداء
هو فى حالتيه قيثارة النجـ ـوى تسامت فى ضحكها والبكاء
تذر النفس أدمعا وشعوراً ولهيبا كوقدة الرمضاء
يا له ساحرا تمرس بالسحـ ـر وأربى عليه فى الإفناء
إن تغنى مسترسلا ملك الأر واح حتى تغيب فى الإصغاء
كل معنى مثل الطبيعة باق والمعانى مناجم الحكماء

* * *

ياصدى الأنفس اللهيفة ياحا مل عبء الهموم والأدواء
تنقل البرء للألى نشدوا البر ء وفى القلب عالم من رثاء
هكذا الأنفس الكبيرة تحيا لسواها فى فرحة واحتفاء
فإذا رمت أن تكون سعيدا فتعهد مصائب الأشقياء
بسمات الحنان أفضل فى الأنـ ـفس من أى نائل وعطاء
تحيى الكائنات والفضل يبقى وهو إرث العلياء للعلياء
وإذا راعك القضاء بخطب فكن الثبت فى صروف القضاء
واحى للشعر والهوى والتمنى واصحب العيش بالرضا والرجاء
قل إذا اهتجت فى احتدام الليالى والتحام الأرزاء بالأرزاء :
أنا ما عدت أستسيغ بكائى مردت مرقى على البأساء
نقيت مهجتى من الوهن المز رى ولم تحفل الأسى حوبائى
ونفضت الإعياء عنى وصعب أن يعيش الفتى بلا إعياء
وتهزأت بالحياة ولاقيـ ـت الرزايا بالنظرة الشزراء
وتقحمت غايتى غير هيبـ ـا ب صراع الدجنة السوداء
وهى النفس إن تثر تركب الصعـ ـب وتزحم مناكب الجوزاء
فاعصفى فى رياح، هامتى اليو م تعرت عن صخرة صلداء
واصخبى واصرخى فلن تثلمى الده ر اعتزامى وان تفلى مضائى

من هبوب السموم أنفاسي السحـ ـم ومن شملة الشموس ردائي
ما أبالي الرمضاء وهي تلظى بلهيب يفري حشا الغبراء
أنا من زأرة الأسود أناشيـ ـدي ومن جأرة الرياح نداني
أنا هذي الصحراء في قلبها النا ـت وفي هزلها من اللأواء
أنا دنيا من المهابة والعز ـم وكون يضج بالأنباء
لست أختار أن أكون نبيا أنا أسمى والمجد يسعى ورائي
عربي النجار من ذروة الحز ـم ومن قمة العلى والإباء
يادموع الضعاف، خير وأبقى من شجا الدمع بسمة الأقوياء
ونعيم الحياة ملك الأشـدا ء فواها للعشر الضعفاء

° ° °

فن يا ابن الغمام والجبل الملـ ـم والظل والشذا والماء
فن يا ابن الليل الموشح بالنو ر ويا ابن الضحى ويا ابن الماء
فن يا ابن الوديان يا ابن الينابيـ ـع ويا ابن السماء والدأماء
فن يا ابن النجوم والقمر الما شـق والسفح والربا الشماء
فن يا ابن الفتح الذي انتظم الأر ض رأولى طرائف الأشياء
فن يا ابن الماضي المضمخ بالمجـ ـد ويا ابن العروبة العرباء
فن فالعالم الرحيب تسابيـ ـح هيامي من نشوة الإيحاء
صور الرحمة التي تغمر الكو ن بفيض الأندى والآلاء
صور الحب والحنان على الأر ض وتجوى الأصداء للأصداء
طف كهذا الربيع نشوان فرحا ن غنى العبير جم البهاء
لح كهذا الصباح يختال جذلا ن بعم الأكوان بالأضواء
بأبي القلب ساميا بالمزايا بأبي الوجه طافحا بالحياء
بأبي العبقرية الفذة البكـ ـر تلف الحياء بالكبرياء

° ° °

أنا نشوان من نشيدك هيما ن فهات اسقني وزدني انتشائي
هدهد القلب والهوى والأماني بغنـاء باق على الآنـاء
وطن أنت ظاعنـا ومقيما لست والله بالغريب النـائي
إنما الغربة التي ما تقضى غربة الفكر والندى والملاء
شاعر الخلد يا نشيد الأناشيـ ـد ويا روعة الأماني الوضاء
لك لحن جم المناعم فيه راحة النفس والقلوب الظماء
هو فيض المقول والفطرة السمحة وابن الطبيعة السجواء
لا يغني سوى الجمال ولا يعـ ـرف غير الحقيقة الغراء
خيره كالربيع صاف شهي طائح بالطيوب والأشذاء
لم يزل ينشد الوضوح ويبغي الشعر خلوا من زخرف وطلاء
لك من روضه الظليل الندى مثل ما للربيع من أفياء
عبق يغمر السموات والأر ض ويزهى بمطرف وشاء
حافل بالعبير آذار ندا ه وأغنى على البطاح الرواء
كل زهر في الكون يذوي ويفنى غير زهر القريحة الغناء
درج الليل والنهار حثيثين وملا من روحة واغتداء
وأصاب الحياة عادي المنايا فتوارت عن نفسها بخباء
وأطل البيان من رفرف الخلـ ـد عتيا على الردى والعفاء
لم يزل عطره يروح ويندو وهو زاد الحياة والأحياء
هو باق على امتداد الليالي والليالي هوالك رنواني
هات يا شاعر الهوى نبه القو م وحدث بالذمة الحمراء
شاعر الحب شد فيثارة الشعـ ـر وغن الحمى لحون السماء
أيها الموقظ النفوس من الضيـ ـم ومردي جحافل البغضاء
انفح الكون بالعظائم تترى فالعظيمات نفحة العظماء

° ° °

أيها العبقري يا روعة الفكـ ـر ويا رفرف السنا والسناء
أنت حب ورقة وحنان ومن الحب عبقري الغناء
خالد أنت والعوالم تفنى لا يذوق الخلود طعم الفناء
أيها الشاعر الذي عاش لحنا ومرى كالعبير في الأرجاء
زهر أنت يغمر الكون بالعطـ ـر رحيق موشح بالضياء
يا نجي القلوب يا جدول البشـ ـر يا نسمة الخميلة الغناء
منك صفت القريض لحنا شجيا وتفردت في بديع أدائي
كرمتك الأجيال يا رفة الخلـ ـد وأولتك روضة من ثناء
فلئن صاغت القريض عقودا فبما صغت يا شماع البقاء

* * *

هات منك البيان سمحا طروبا خيرا نيرا كقلب الفضاء
لا يوفي القصيد مهما تغنى ما دناني تكفي ولا صهباني

أنور العطار

دواوين الشعراء الستة الجاهليين

شرح الأستاذ عبد المتعال الصعيدي وتنسيقه

نشر مكتبة القاهرة سنة ١٩٥٢ . في ٣٧٦ من القطع المتوسط

الدكتور زكي المحاسني

عناية الأدباء المحدثين بأدب أمتهم القديم دليل على أصالة ذلك الأدب . وأيما أمة اطرحت أصول أدبها فإنما هي قد جزت جذورها ، وأنكرت أنسابها ، فضاعت بين سمع الأرض وبصرها . وماشيء كان أجدر بالعناية في أدبنا العربي من الشعر الجاهلي ، لأن فيه نبعة التراث الروحي لأدب الأمة العربية . وهذا سر عكوف الأقدمين على دراسة هذا الشعر يجمعونه ويمحصون فيه ، ويروون قصائده ، ويروقون رواياتها . ولقد عاق التلهف على دراسة الشعر الجاهلي في الفترة الحديثة ما طلع به بعض الأدباء من إنكار لصحة هذا الشعر ، وما زعم الزاعمون من أن هذا الإنكار مرده دراسات لبعض المستشرقين . وإن الصواب الذي لا أرتاب فيه أن هذا الشك ذاته قد سبق الناس إليه الأصمعي وقد بان لي أن من عند الأصمعي كان مولد هذا الشك حين اختلفت لديه أبواب الرواية في الشعر الجاهلي ، واضطراب الأسانيد في بعض أنحائه . وقد ترك السبيل مفتوحة أمام ذوي الشك في الأدب خلو النصوص الجاهلية للشعر من التقييد الحجري . فلو أن شعراء المعلقات بديلا من أن تكتب لهم معلقاتهم على رقاق الغزلان بماء الذهب وتعلق على الكعبة قد نقشوها في الحجارة ، لما تركوا سبيلا لذلك الشك والارتياب الذي كدر علينا في فسحة من الزمن نقاء الشعر الجاهلي

إن الدكتور طه حسين حين أنكر الشعر الجاهلي سنة ١٩٢٦ كان كمن جاء إلى أسرة فيها الزوج الوقور والأم الحنون والولد المطيع ، وهم جميعا في خير وطمأنينة ، فقال للأبوين إن ابنكما هذا مدخول النسب . قالها قولة جارفة فأقض على الأسرة مضاجعها ، وهدم بناءها . ولم تكن أداته أكثر من شك وارتياب . ومن المحمود للدكتور طه حسين بعد ذلك أنه اعتلى منبراً في جامعة فؤاد الأول سنة ١٩٤٥ سمعته وشهدته يقول من فوقه فيدلي باعترافات أدبية جديدة في أنساب الشعر الجاهلي الذي صح عنده أنه يمثل في تاريخنا الأدبي أدبا كلاسيكيا قديما . وقد أمسك بيده الأستاذ الفاضل عبد الوهاب حمودة قبل أن يغادر ذلك المنبر وصاح في الناس أيها الجامعيون إن طه حسين الذي أنكر الشعر الجاهلي يعترف به اليوم ويرد إليه اعتباره

هذه خواطر دارت بفكري وأنا أقلب كتابا حديثا فيه دواوين الشعراء الستة الجاهليين شرحه ورتبه صديقنا الأستاذ الجليل عبد المتعال الصعيدي . ومن المقطوع به أن يكون بدء الكلام على امرئ القيس وختامه على عنترة . وقد نسب شرح هذه الدواوين في أصلها إلى ثلاثة من علماء الأدب القديم أشهرهم الأعلم الشنتمري من سانتا ماريا بالأندلس . وفي عصرنا تناول هذه الدواوين بالشرح أحد فضلاء العلم في جامعة فؤاد الأول هو الأستاذ مصطفى السقا . حتى إذا حانت عناية الأستاذ عبد المتعال الصعيدي بالشعر الجاهلي أخرج هذا الكتاب بطبعة جديدة تضم هذه الدواوين بتناول ميسور . وعني بشرحها على صورة موجزة كثيرة الجدوى . فهو يعطيك في معنى البيت على استغلاق وجهه وغرابة لفظه ، شرحا موفيا للغرض من أقرب سبيل . وقد قدم لكل شاعر من هؤلاء الستة وهم امرؤ القيس فلقمة فطرفة فالنابغة الذبياني فزهير فعنترة بنبذ يسيرة مكثفة ، ألم فيها بتاريخ الحياة ثم بلمحات ثابتة في دراسة الشعر وتحقيق الرواية . والذي كنت أتمناه عليه ، وقد يكون مطلوبا منه سنمه ، أن يكون قد كتب لهذه الدواوين مقدمة ، وإنما كتب تقديما في سطور . فهو لم يذكر رأيه في الشعر الجاهلي ، ولم يتناول قضية هذا الشعر ، وقد شغلت الناس زمنا في القديم وفي الحديث . كما لم يفضل شاعرا على شاعر وإنما قصر همه على الشرح وحده . وذلك ضرب من ضروب التأليف الذي عرف في عصرنا الحديث وفي الأقدمين ، وقل شبيهه في الأدب عند الغربيين . فليس شائعا

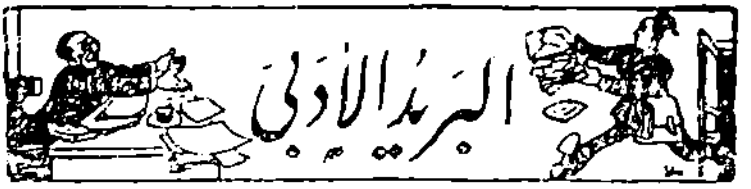

المدرسة الصلاحية

وصل إلى بريد الكنانة الأخير هدية غالية من هدايا صديقنا الأستاذ أحمد أحمد بدوى المدرس بكلية دار العلوم بجامعة فؤاد الأول وهى الجزء الأول من مؤلفه القيم « الحياة العقلية فى عصر الحروب الصليبية بمصر والشام » ولا أريد فى هذه الكلمة أن أذكر قيمة الكتاب من الناحية التاريخية لأن مثل هذا المؤلف الضخم الذى اعتمد علامتنا البدوى على أكثر من «٢٠٢٥» مرجع فى تأليفه يحتاج إلى دراسة طويلة وقراءة متقنة؛ وخاصة أن لهذا الجزء بقايا تحت الطبع، كما أننى لا أريد أن أعرف الأستاذ البدوى فهو غنى عن التعريف بمؤلفاته ومترجماته وبحوثه النادرة التى نشرها وما زال ينشرها فى الصحف وبذيعها على الناس. وقراء « الرسالة » الزاهرة لا شك يعرفونه جيدا ولكنى أحييه وأنا أقرأ كلامه عن المدرسة الصلاحية المنشور فى الصفحة (٤٣) من كتابه النفيس أن أضيف إليها هذه النبذة الوجيزة التى نشرتها مجلة « الزهراء » فى الجزء السادس سنة ١٣٤٦ هـ — ١٩٢٧ م وهى :

« هى مدرسة إسلامية أقامها السلطان صلاح الدين الأيوبى لفقهاء الشافعية منذ القرن السادس الهجرى وقد زارها رصيفنا السيد عمر الطيبى وقرأ على بابها الكبير منقوشا فى الحجر السطور الخمسة الآتية

(١) — بسم الله الرحمن الرحيم . وما بكم من نعمة فمن الله

(٢) — هذه المدرسة المباركة أوقفها مولانا الملك الناصر صلاح الدنيا والدين سلطان الإسلام

(٣) — والمسلمين أبى المظفر يوسف ابن أيوب بن شاذى محيى دولة أمير المؤمنين أعز الله

(٤) — أنصاره وجمع له خير الدنيا والآخرة على الفقهاء من أصحاب الإمام أبى عبد الله

(٥) محمد بن إدريس الشافعى رضى الله عنه . فى سنة ثمان وثمانين وخمسمائة

واستمرت هذه المدرسة إسلامية سبعمائة سنة ، ثم سعى الفرنسيون سنة ١٨٥٦ م لدى السلطان عبد الحميد بانتزاعها من أيدى المسلمين بحجة أنها كانت فى الأزمان القديمة كنيسة على اسم حنه أم سيدتنا مريم عليها السلام ، فأذن لهم السلطان عبد الحميد بأخذها ، وجعلها هدية منه إلى نابليون الثالث ، فاتخذها الفرنسيون داراً للتبشير بالمذهب الكاثوليكى

ولما أعلنت الحرب العظمى ووضع الترك أيديهم على ما

عندهم نشر ديوان للشعر مقصور على الشرح لألفاظه ، وإنما لديهم الناشرون من الأدباء الذين يكثر تناولهم الدواوين بالدراسة والتعليق مع الشرح والتفسير ، وقد نعذر الأقدمين منا والمحدثين فى هذا الضرب من التأليف إذ المعول فيه على إبراز النصوص القديمة كما جاءت دون التقول فيها . وهذا مذهب أدبى له دعاته . فللنصوص القديمة حرمة لا ينبغى أن تمس بتقويل

والقصد الذى ينبغى أن يدركه دارسو هذه الدواوين هو الوقوف على صحيح معانيها لتمثل الشعر الجاهلى واهتضامه فى الفكر والإحساس . وحين يقنع المتأدبون المحدثون أن الرجعة إلى الشعر الجاهلى هى قوام الأدب العربى كله ، وأن صفاء ذلك الشعر ونقاء معانيه هو الشعاع الأول الذى ينبغى أن تستمد منه كل روح فى كل شعر عربى ؛ فقد حملوا رسالة الأدب لا فى العصر الحديث فحسب؛ وإنما فى سائر العصور الأدبية التى توالت على العرب . وإنى لأعد الشعر الجاهلى ضمان لغة العرب فى الشعر ، وناظم روحها الأصيلة مهما تجدد الأدب ، وتطور الشعر

والأستاذ الكبير عبد المتعال الصعيدى إلى إكبابه على التأليف فى الموضوعات الدينية والأدبية التى اتسمت بالدقة والإحكام جدير بالثناء على جهده الذى بذله فى شرح دواوين الشعراء الجاهليين وعنايته بتبسيط المعانى للطلاب خاصة وللقراء عامة

زكى المحاسنى

لرعايا دول الحلفاء من مدارس ومعاهد أعادوا هذا البناء إلى تصرف المسلمين وجعلوا فيه « الكلية الصلاحية » التي كان يديرها الأستاذ الشيخ عبد العزيز شاويش . فلما انتهت الحرب العظمى بانكسار الترك واستيلاء الإنكليز على القدس أعطى الإنكليز هذه الدار إلى البعثة الفرنسية وهي الآن مدرسة لتخريج الرهبان الكاثوليك

بغداد عبد القادر رشتر الناصري

المعري لا المتنبي

أورد الأستاذ أحمد الشرباصي هذا البيت :

فيا موت زر إن الحياة ذميمة ويا نفس جدي إن دهرك هازل

منسوبا إلى المتنبي والصواب أنه لأبي العلاء المعري من قصيدته المشهورة التي مطلعها :— (ألا في سبيل المجد ما أنا فاعل) ومثل الشرباصي في فضله وعلمه لا يفوته ذلك ولا بد أنه سبق قلم سببه تأثر الأستاذ أثناء رده . وقد انتظرت حتى صدر العدد التالي ٩٩٠ وما بعده لعل الأستاذ يصحح هذا الوهم . فلما لم أجد ما توقعته بكتابة هذا راجيا نشره مع خالص الشكر .

عبد العلوم النجار

تصحيح

طالعت في العدد ٩٨٦ من الرسالة مقال الدكتور الكفراوي عن أبي العتاهية فاسترعى انتباهي قوله في آخر المقال : قال الشاعر مشيرا إلى جواري المهدي

رحن في الوشي وأسبحن عليهن الوشوح
كل نطاح من الدهر له يوما نطوح
نح على نفسك يا مسكين إن كنت تنوح
لتموتن وإن عمرت ما عمر نوح

والذي نعرفه أن أبا العتاهية قال هذه القصيدة وهو في السجن لما آلم لحن اللاحين في دجلة الخليفة الرشيد فأرسل إليه أن يصنع لهم شعرا سهلا يتغنون به فغاظه أن يطلب إليه ذلك ولم يأمر بإطلاقه فصنع هذه القصيدة لينغص عليه عيشه ومطلعها

خانك الطرف الطموح أيها القلب الجموح
هل لمطلوب بذنب توبة منه نصوح

فمن هنا نعلم أن القصيدة قيلت في عهد الرشيد لا المهدي كما يقول الدكتور وأن الإشارة إلى جواري الرشيد

محمد ابراهيم الجيوشي

دار العلوم

أشكر للأستاذ الشاعر أحمد المجمي عنايته بشعراء الشباب وأتوقع لما أثرا طيبا وإن كان قد ذكر في العدد « ٩٨٧ » من الرسالة الغراء أن في الاستطاعة أن يحصى الناقد ستة عشر شاعرا من دار العلوم أيام أن كانت مدرسة ، أما بعد أن صارت كلية جامعية فلا يستطيع أحد أن يحصي شاعرا أو اثنين ، فيسره أن عرف أن السبب في ذلك هو أن الفترة التي قضتها دار العلوم وهي مدرسة فترة طويلة جدا كفيلة بأن تنجب فيها ما تشاء من الشعراء ، أما الفترة التي قضتها وهي كلية جامعية فهي فترة وجيزة لا تكفي لإشهار شعراء يعدون ويحصون

على أنني أرى أن هناك أزمة شعرية في هذه الأيام الأخيرة في جميع المعاهد الأدبية . ومرد ذلك — فيما أعتقد — إلى أن الصحافة وهي المنبر الذي يذيع عليه الشعراء الناشئون أشعارهم أصبحت يضيق صدرها بالشعر والشعراء ولا سيما الناشئين منهم ، فبعض الصحف تنشر القصائد في صفحة الغلاف بشكل يوحي بالإهمال ، والبعض الآخر يفرد لها حيزا محدودا جدا يستوعبه في الغالب من اشتهر من الشعراء . ! ربك ماذا يفعل الشعراء الذين يريدون أن يظهروا ؟

أيلجأون إلى طبع أشعارهم في دواوين وهم في الغالب لا يملكون من المال والشهرة ما يساعد على ذلك ؟ !

أم يقطعون على أنفسهم يقولون الشعر لا يسمعه أحد حتى يملوا هذا الوضع فيطمر ينبوع الشعر في نفوسهم ؟

إننا نرى كل فن من فنون الأدب قد خدم الخدمة الكافية به ، فللمقالة تعج بها معظم الصحف ، وللقصة أفردت لها صحف خاصة ، بقي الشعر والشعراء المساكين

إني لأذكر بالخير ذلك المهد الذي كانت تقوم فيه مجلة « أبولو » على خدمة الشعر الحي . وأعتقد أنها أفسحت لكثير من الشعراء الناشئين طريقهم حتى برزوا وجلوا في ميدان الشعر. فهل إلى بعث هذه المجلة أو ما يشبهها من سبيل حتى تتفتح براعم من شعراء الشباب أوشكت أن تموت ؟

محمد علي . محمد الشايب

أدب ولغة

١ — كسول : صنيع اللغويين يشعر بأن كسولا من الأوصاف المختصة بالإناث ، قال جار الله في الأساس — كسل : وامرأة كسلى ، وهي مكسال وكسول ونحوه في المختار والمصباح والتاج والقاموس واللسان وأكثر المعاجم التي رجعت إليها ، ومن ثم ذهب كثير من الخاصة إلى تخطئة مثل هذا التعبير (تلميذ كسول)

بيد أني وقعت في لسان العرب مادة ـ زمل ـ على هذا البيت:

فلا وأبيك ما يغني غنائي من الفتيان زميل كسول

وهذا نص لا يحتمل التأويل ينادي بصحة ما خطأه بعض الباحثين . ولعل من يتتبع كلام العرب يقف على أكثر من شاهد لهذا الاستعمال . ولا يعزبن عن البال أن كتب اللغة لم تلتزم الإحاطة بكل ما نطقت به العرب ، فدون هذا خرط القتاد كما يقولون . على أنه يمكن أن نلتمس عذرا لصنيع اللغويين في أن النص على — امرأة كسول — من قبيل النص على البعيد المفهوم — لا من قبيل البيان لما يجوز حتى يمنع ما عداه ، وعلى هذا أرى أن لفظة — كسول — مما يوصف بها المذكر والمؤنث على السواء ، وليست مختصة بأحدهما

٢ — كسلان : أما كلمة — كسلان — فقد يتبادر إلى الذهن بادي الرأي أنها عامية أو خاطئة وإن هي إلا فصيحة ، وقد وردت في تضاعيف قصة أدبية تروقها قراء الرسالة لطرافتها ولما فيها من جمال وإبداع

روى المبرد أن عمر الوادي سمع عبداً أسود يغني ، فأعجب به ، وطلب إليه أن يعيد عليه ما سمع ، فقال العبد: والله لو كان عندي قرى أقربك ما فعلت ، ولكني أجعله قراك ، فإني ربما غنيت هذا الصوت وأنا جائع فأشبع ، وربما غنيته — وأنا كسلان — فأنشط ، وربما غنيته وأنا عطشان فأروى ، ثم انبرى يغني :

وكنت إذا ما زرت سعدى بأرضها أرى الأرض تطوى لي ويدنو بعيدها

من الخفرات البيض ود جليسها إذا ما قضت أحدوثة لو تعيدها

تحل أحقادي إذا ما لقيتها وتبقى بلا ذنب على حقودها

وكيف يحب القلب من لا يحبه بلى قد تريد النفس من لا يريدها

٣ — نسوان : وقد وردت هذه الكلمة التي تتردد على ألسنة العامة — وقد تنفر الأسماع منها — في شعر يسحر اللب ويأخذ بمجامع القلوب ، قال كلثوم العتابي :

تلوم على ترك الغنى باهلية لوى الدهر عنها كل طرف وتالد

رأت حولها ـ النسوان ـ يرفلن في الكسا مقلدة أجيادها بالقلائد

العقد ج ٣ ص ١٥٩

وقال الحكم بن معمر — عاصر ابن ميادة — :

فوالله ما أدري أزيدت ملاحة وحسنا على النسوان أم ليس لي عقل

فساهم ثوباها ، ففي الدرع غادة وفي المرط لفاوان ردفاها عيل

الأغاني ج ٢ ص ٢٨٦

وقال الهمداني (الأجدع أبو مسروق بن الأجدع الفقيه)

لقد علمت نسوان همدان أنني لهن غداة الروع غير خذول

وأبذل في الهيجاء وجهي وإنني له في سوى الهيجاء غير بذول

(تهذيب الكامل ج ٢ ص ٩٣

وقال ابن مقبل :

(١) أصوات نسوان أنباط بمصنعة بجدن للنوح واجتبن التبابينا

(الأساس — صنم)

(١) المصنعة ـ المدينة والقرية ـ بجدن ـ لبسن البجد ـ التبابين ـ جمع تبان السراويل الصغيرة

رياضه عباس

الخـــادم

للكاتب العظيم سيمونوف

عاد جيرازيم إلى موسكو حين كان يتعذر الحصول على عمل فيها ، وذلك قبل عيد الميلاد بأيام قلائل . وفي هذه الفترة كان كل عامل يتمسك بعمله مهما كان حقيراً ، طمعاً في الحصول على هدية من مخدومه . وهكذا قضى الشاب الفلاح ثلاثة أسابيع دائباً في البحث عن مهنة ولكنه لم يوفق

وكان يعيش مع أقاربه وأصدقائه الذين نزحوا من قريته . ولم يكن في فقر مدقع ، ولكنه يغتم لرؤية شاب قوي مثله يحيا بغير عمل

وقد عاش جيرازيم في موسكو منذ حداثته . وعندما كان طفلا كان يشتغل بغسل الأواني في معمل من معامل البيرة ، ثم اشتغل بعد ذلك خادماً في أحد المنازل . وفي السنتين الأخيرتين كان يعاون أحد التجار ، ولولا أنه دعي إلى قريته لسبب يتعلق بالخدمة العسكرية لبقي حيث كان إلى الآن . والسبب ما لم يقبل جيرازيم جندياً . ولما لم يكن معتاداً حياة الريف فقد بدت القرية لعينيه في حلة من الكآبة ، وصمم على الرجوع إلى موسكو مهما كانت النتائج

وكل دقيقة تمر كانت تزيد ملله من جوب الطرقات في فراغ وبطالة . ولم يترك جيرازيم أي سبيل للعمل إلا طرقها . ولقد ضايق جميع معارفه بإلحافه ، وأحياناً كان يتصدى للمارة ويسألهم إذا كانوا يعرفون سبيلا إلى عمل خال

ولم يعد يحتمل جيرازيم أن يكون عالة على الناس . وقد أصبح وجوده يغيظ بعض مضيفيه . وتعرض بعض الخدم الذين كان ينزل عليهم لتأنيب مخدوميهم إياه بسببه . لقد كان في حيرة تامة لا يدري ماذا يفعل . وأحياناً كان يجوب الطرقات النهار كله دون أن يتناول طعاماً

وفي أحد الأيام ذهب جيرازيم إلى صديق له من أبناء قريته ، يعيش على حدود موسكو . وكان هذا الصديق حوذياً عند رجل يدعى شاروف ، وقد مضى عليه أعوام كثيرة في خدمة شاروف وقد أفلح في أن يستحوذ على محبة سيده فأصبح يأمنه على كل شيء ويبدي له دلائل الرضا . ولعل لسانه الفتيق هو الذي كسب له ثقة سيده فقد كان يشبه بكل الخدم ، وكان شاروف يقدره من أجل ذلك

وتقدم جيرازيم وحياه ؛ واستقبل الحوذي صديقه استقبالا مناسبا وقدم إليه شايا وبعض الطعام ثم سأله عما يفعله فأجابه :

— في أسوإ الأحوال يا يجور . إني أعيش بدون عمل منذ أسابيع

ألم تسأل مخدومك القديم أن يستعيدك إليه ؟

— لقد سألته .

— أو لم يقبل ؟

— هناك من حل محلي

آه ... هذا هو السبب . تلك هي خطتكم أيها الشبان . تخدمون رؤساءكم حيثما اتفق ، فإذا تركتم مهنتكم تكونون قد سددتم طريق الرجوع إليها بالأوحال . ألا يجب أن تقوموا بواجباتكم بحيث تنالون التقدير الحسن ، فإذا رجعتم إلى مخدومكم لا يهملونكم — بل يخرجون من حل محلكم ...

— وكيف يكون ذلك ؟ إنك لا تجد مخدومين على هذه الشاكلة في هذه الأيام كما أننا لسنا بملائكة !

— وما فائدة الكلام ؟ ! إني أريد أن أحدثك عن نفسي : إذا حدث أني تركت عملي لسبب من الأسباب ورجعت إلى منزلي ، فالسيد شاروف يقبلني عندما أرجع ويكون سعيداً بقبولي

وجلس جيرازيم محزوناً . لقد لاحظ أن صديقه يباهي بنفسه ورأى أن يساير فقال :

— إني أعرف ذلك ولكن من العسير وجود رجل مثلك يا يجور . ولم لو تكن من أجود الخدم ما أبقاك سيدك في خدمته اثني عشر عاما

فابتسم يجور لأنه كان يحب المدح وقال :

— ذلك هو الواقع . لو أنك اتبعت نظامي في الحياة والعمل ما وجدت نفسك عاطلا شهراً بعد شهر

ونادى شاروف حوذيه فخرج وهو يقول :

— انتظر برهة .. سأرجع حالا

— حسن جدا

عاد يجور وأخبر صديقه أن عليه فى خلال نصف ساعة أن يعد العربة ويسرج الخيل ويستعد لحمل سيده إلى المدينة . وأشعل يجور بيبته وأخذ يذرع أرض الغرفة ثم وقف فجأة أمام جيرازيم وقال :

— استمع يابنى، إذا رغبت أن أحدث السيد شاروف عنك فلا بأس

— وهل هو فى حاجة إلى خادم؟

— لدينا خادم غير كفء تقدم به العمر ومن المتعذر عليه القيام بالخدمة . ومن حسن الحظ أن هذه الضاحية غير مأهولة — كما أن رجال البوليس لايدققون كثيرا ، وإلا لما استطاع الخادم الشيخ أن يحتفظ بالمكان على حالة من النظافة ترضيهم

— آه .. لو أمكنك ، حدثه عنى يايجور — إنى سأدعو لك طول حياتى .. لم أعد أحتمل العيش بدون عمل

— حسن . سأحدثه عنك . تعال غدا . والآن يحسن أن تأخذ هذه الدريهمات

— شكراً يايجور . هل ستحدثه عنى ؟ قم بهذا الجميل من أجلى

— حسن . سأحاول

وانصرف جيرازيم وأعد يجور العربة وارتدى ملابسه الخاصة بمهنته وقاد العربة إلى الباب الرئيسى للمنزل حيث ركب شاروف ثم آب إلى منزله . ولاحظ يجور أن سيده على شىء من البشاشة فبدأ حديثه معه

— هل لى أن أسألك معروفاً ؟

— وماذا تطلب ؟

— شاب من قريتى ، شاب طيب . . . ليس لديه عمل

— حسن !

— ألا تلحقه بخدمتك ؟

— وهل أنا فى حاجة إلى خادم ؟

— ألحقه على أن يقوم بأى خدمة تطلب منه

— وماذا يعمل پوليكار ؟

— وما فائدة پوليكار ؟؟ لقد حان أوان فصله

— ليس من العدل فصله لقد خدمنا سنوات . فلا أستطيع طرده بدون سبب

— ولنفرض أنه اشتغل بخدمتك سنوات . إنه لم يخدمك بغير أجر . لقد كان يتناول مرتباً ، ومن المؤكد أنه ادخر بعض المال لسنى شيخوخته

— ادخر ؟ كيف كان يمكنه ذلك ، إنه ليس وحيداً فى الدنيا : لديه زوجة يعولها وهذه مضطرة أن تأكل وتشرب أيضا

— إن زوجته تكسب أيضاً . إنها أجيرة باليومية . ولم تعير پوليكار وزوجته اهتماماً ؟ حقا إنه خادم فقير ؛ ولكن لم تبعثر أموالك ؟ إنه لايؤدى عمله كما يجب . وعندما تحين نوبته فى حراسة المنزل يترك مكان الحراسة أكثر من عشر مرات أثناء الليل . لم يعد يحتمل البرد وقد يكدوك البوليس بسببه يوماً . قد يهبط اللصوص علينا يوماً ، وعندئذ لن يسرك أن تكون مسئولا عن نتائج إهمال پوليكار

— ومع ذلك ففصله قسوة واستهتار . لقد خدمنا خمسة عشر عاما ، وبعد هذه المدة نعامله هذه المعاملة الفظة فى شيخوخته . إنها لخطيئة

— خطيئة ؟ هل يصيبه منك ضرر ؟ إنه ان يموت جوعا بل سيذهب إلى ملجأ الفقراء . وهذا أجدى عليه . هناك يقضى شيخوخته فى سلام

وأخذ شاروف يفكر فى المشكلة ثم قال .

— حسن . دع صديقك يحضر غدا . وسأرى ما يمكننى أن أفعل له

— أرجو يامولاى أن تلحقه بخدمتك . كم أنا حزين له ! يالله من شاب خير ! ومع ذلك فهو عاطل منذ أمد طويل . إنه سيؤدى واجبه على أكمل وجه وسيخدمك باخلاص : لقد ترك عمله الأول بسبب الخدمة العسكرية ولولاذلك ما ترك مخدومه الأول

عاد جيرازيم فى المساء التالى وسأل صديقه :

هل أمكنك أن تقوم بشىء فى سبيلى ؟

— نعم ... على ماأعتقد : دعنا نتناول بعض الشاى أولا ، وبعد ذلك نذهب لمقابلة سيدى

ولم يكن جيرازيم بالراغب فى شرب الشاى : لقد كان منشوقا إلى معرفة ماقر عليه أمره ولكن مقتضيات الواجب واللياقة نحو صديقة أجبرته أن يشرب قدحين من الشاى ، أخذه بعدها صديقه إلى رب الدار

وسأل شاروف جيرازيم عن مكان مسكنه وعن مخدوميه السابقين ، ثم أخبره بعد ذلك باستعداده لقبوله خادماً عاما يؤدى كل مايطلب منه وأن عليه أن يأتى صباح اليوم التالى ليبتدىء عمله . وأذهل جيرازيم هـذا الحظ المفاجئ وكان فرحه عظيما حتى أن قدميه لم تقويا على حمله ، وبعد برهـة رجع جيرازيم إلى غرفة الحوذى

وقال له الحوذى : « حسن يا بنى يجب أن تعنى بأن تؤدى واجبك على الوجه الأكمل حتى لا أضطر يوما إلى الخجل بسببك ، أنت تعرف من هم السادة إذا قصرت مرة تعقبوك دائما بالبحث من أغلاطك وان يدعوك فى سلام أبدا

— كن مطمئنا يا بجور

وانصرف جيرازيم وعبر فى طريقه فناء المنزل ، وكانت غرفة بوليكار تطل على هذا الفناء وكان ينبعث منها نور ضئيل يضىء طريق جيرازيم الذى شعر بالشوق إلى رؤية الغرفة التى ستخصص له ، ولكن زجاج النافذة كان مغطى بالصقيع بحيث يتعذر رؤية أى شىء خلاله . وسمع جيرازيم أصواتا تنبعث من الغرفة فوقف يتسمع . سمع صوتا نسائيا يقول « ماذا نفعل الآن ؟ » فأجاب رجل — وكان بوليكار لا شك :

— لست أدرى .. لست أدرى نطوف الشوارع مستجدين ،

— هذا كل ما بقى لنا . وما من حيلة أخرى . يالله لنا ، نحن الفقراء ! أى حياة تعسة نحياها ؟ نكد ونكدح من الصباح الباكر حتى الليل يوما بعد يوم وعاما بعد عام ، وعندما تتقدم بنا السن نتضور جوعا

— ماذا نفعل ؟ إن سيدنا ليس من طبقتنا ، ولا جدوى فى الذهاب والتحدث إليه . إنه لا يهتم إلا بمصلحته

— كل السادة على مثل هذه الحالة . إنهم لا يهتمون إلا بأنفسهم ، لا يخطر ببالهم أننا نعمل بشرف وإخلاص مدى سنوات ، نفنى زهرة قوانا فى القيام بخدمتهم ثم يخشون أن يبقونا عاما آخر ، حتى ولو كانت لدينا القوة للقيام بواجباتهم . فإذا عجزنا تماما وجب علينا أن ننصرف من تلقاء أنفسنا

— إن شاروف لا يلام بقدر ما يلام حوذيه الذى يود الحصول على مهنة لصديقه

— نعم ... يا له من ثعبان ! إنه يعرف كيف يشقشق بلسانه ... وأنت يا بجور أيها الحيوان القذر اللسان ... انتظر ، سأنتقم منك ، إنى سأذهب إلى السيد وأخبره كيف كان هذا الوغد يغشه وكيف يسرق التبن والعلف . وسأقنع السيد أن هذا الوغد يكذب فى كل ما ينقله عنا

— لا لا : أيتها المرأة لا ترتكبى خطيئة

أية خطيئة ؟ أو ليس حقا ما أقوله ؟ إننى أعرف صدق ما سأتحدث به وسأقضى بكل شىء للسيد . ولم لا ؟ ماذا نفعل الآن ؟ أين نذهب ؟ لقد حطمنا ، وانفجرت المرأة باكية متأوهة

سمع جيرازيم الحديث كله وكأن خنجرا نفذ فى أوصاله . لقد تحقق أى بلاء كان يجره إلى هذين الشيخين وشعر أن قلبه يتمزق

وقف حيث كان زمنا طويلا محزونا غارقا فى الفكر ، ثم دار على عقبيه وذهب ثانية إلى غرفة الحوذى الذى سأله عندما رآه

— هل نسيت شيئا ؟

وأجاب جيرازيم متلعثما : لا ... لقد أتيت ... استمع إلى ... أود أن أشكرك كثيراً على حسن استقبالك إياى ، وكل ما عانيته من أجلى .. ولكنى لا أقبل العمل هنا

— ماذا ؟ ماذا تعنى ؟

لا شىء . لا أرغب فى العمل هنا ، سأبحث عن عمل آخر .

وانتابت بجور حدة غضب وقال :

— هل تعنى أن تجعلنى مجنونا فى رأى سيدى ؟ هل تعنى ذلك أيها الأبله ؟ لقد أتيت تتضرع فى وداعة وترجو المساعدة . والآن ترفض العمل . أيها الوغد لقد أخزيتنى !

وصعد الدم إلى وجه جيرازيم وخفض عينيه ولكنه لم يلبس بينت شفة

وأدار بجور ظهره فى احتقار وكف عن الكلام وعندئذ التقط جيرازيم قبعته بهدوء وترك غرفة الحوذى وعبر الفناء مسرعا ثم اجتاز باب المنزل وابتعد عن الدار مهرولا

وكان يشعر بالسعادة والفرح ...

يتبع

م.ع.م

ظهرت الطبعة الرابعة الجديدة

للمجلد الأول من كتاب

وحي الرسالة

فصول في الأدب والنقد والسياسة والاجتماع

للاستاذ أحمد حسن الزيات بك

طبع طبعاً أنيقاً على ورق صقيل وقد بلغت عدد صفحاته خمسمائة صفحة ونيفاً

وهو يطلب من إدارة الرسالة ومن جميع المكتبات وثمنه أربعون قرشاً عدا أجرة البريد

مطبعة الرسالة

العدد ٩٩٤ — ٢١ يوليه سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون

الرسالة

والرواية

فهرس العدد

على الماء ! ... ... : للأستاذ أحمد حسن الزيات بك ... ٧٩١

التصوف على البلاج ... ... : « أنور الجندى ٧٩٨

الاستعمار البريطانى فى الملايو ... : « محمد جنيدى ٨٠١

الأدب الحديث ... ... : « أنيس المقدسى ٨٠٧

طبيعة الحج فى الإسلام ... ... : « محمد فياض ٨١٠

الجواهرى شاعر العراق ... ... : « محمد رجب البيومى ... ٨١٤

ديوان مجد الإسلام ... ... : نظم المرحوم الشاعر أحمد محرم ٨١٧

قافلة البصر ... ... (قصيدة) } لصاحب العزة الدكتور عبد الوهاب ٨١٩
لست طروبا ... ... (قصيدة) }
مافوق هذى الأنجم ... (قصيدة) } عزام بك ... ...

النهر الشاعر ... (قصيدة) : للأستاذ أنور العطار ٨١٩

(الكتب) — مسرحية صلاح الدين الأيوبى — للداعية الأستاذ ٨٢٠
عبد الرحمن البنا — للأستاذ محمد رجب البيومى

(البريد الأدبى) — المواهب المقدرة — تصويب واستدراك — ٨٢٢
التقدم بالمصدر — تصحيح نسبة أبيات — أغانى الربيع

(القصص) — الشق المدال — للفيلسوف الروسى تولستوى ٨٢٣

٣٩٠٥

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

20 me. année No 994

Le Caire 21 — 6 — 1952

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العدد ٩٩٤ «القاهرة فى يوم الاثنين ٢٩ شوال سنة ١٣٧١ — ٢١ يوليه سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون

علمـــاء !

من مفاليك العامة جماعة انتسبوا إلى علماء الدين كما ينتسب الزواق إلى الحنطة . نالوا شهادة العلم بالغش ، ولبسوا شارة الدين بالباطل ، وبلغوا مناصب الدنيا بالملق ؛ ثم اندسوا فى المجتمع اندساس الإثم فى الضمير ، أو الداء فى البدن ، فكانوا فى الوحدة مظهر تفريق ، وفى النهضة مصدر تعويق ، وفى العقيدة مثار شبهة . ثم اتخذوا من دورهم معامل لتفريخ الأكاذيب ، ومن ندواتهم وسائل لترويج الشوائع ! يشيعون الفاحشة فى الذين آمنوا ، ويثيرون الريبة فى الذين عملوا ، ويقصدون من حركات الاصلاح مقاعد للتربص والتلصص ؛ فإذا دعاهم الصلح هبوا فى وجهه هبّة الريح العاتية على المصباح الهادى ؛ وإذا دعاهم الفساد نفحوا قلبه الوارى نفح النسيم الرخى للنار المشتعلة ! ذلك لأنهم لا يخططون فوائسهم إلا فى الظلام ، ولا يشوون ذبائحهم إلا فى الحريق . ينفرون من الخير كما تنفر الجعلان ، ويفرون من النور كما تفر الخفافيش ، ويموتون من الطهر كما تموت الجراثيم ، ويفزعون من الخير كما تفزع الشياطين ! أما الروح ، وأما الدين ، وأما الخلق ، وأما الأدب ، فهى ألفاظ شأنها فى صدورهم كشأنها فى المعجم : صفات لا تدل على موصوف ، وكلمات لا تزيد على أنها حروف !

المادة فى حياتهم الفارغة هى كل شئ . غلّفوا بها قلوبهم حتى صدئت منهم النفوس ، وأفعموا بها أفواههم حتى تتنت منهم الأنفاس . ثم جعلوها قياسا لكل قضية ، وسببا لكل حكم ، وأساسا لكل نقد ، وغرضا من كل عهد ؛ فإن أعطوا منها رضوا ، وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون !

وقد تسول لهم النفس الغرور أن يلوثوا وجوه الصحف بما يكظ بطونهم من أخلاط الحقد على المصلحين والعاملين فيكشفوا عن سوءاتهم ثم يدعوها تزكم الأنوف بالنتن الوبئ ، وتؤذى الآذان بالصوت الكريه !

إن من أول وسائل الاصلاح للدين والدنيا أن يُكنس هؤلاء من معاهد العلم ومقاعد التعليم كما تكنس الأوحال من الطريق . فإن البانى لا يبنى وفى يده مسطرين وفى أيديهم معول . وإن الغارس لا يغرس وفى يده مشتل وفى أيديهم منجل . ولولا أبو جهل وابن سلول وشيعتهما من عدو الله لما قال الرسول الصادق الصابر الشجاع وهو يلوذ بأحد الجدر : اللهم إنى أشكو إليك ضعف قوتى وقلة حيلتى وهوانى على الناس !

وأفظع الأمر أن أولئك كانوا يحاربون الله وهم يقولون : كذب ؛ وهؤلاء يحاربونه وهم يقولون : صدق ! وإن الكفر خير من النفاق . وإن الصدارة أفضل من الخدمة . وإن الصراحة على كل حال مظنة ، وإن المراءاة على أى وجه حقارة !

(صيدا)

التصوف على « البلاج »

للأستاذ أنور الجندى

من أعجب المفارقات أن يذكرنى « البلاج » بالتصوف

بل لعل غاية العجب أن أكتب هذا الفصل أمام إحدى « كبائن » ستانلى باى . .

وليست هذه هى المرة الأولى فيما أعتقد، التى تدعو المفارقات فيها مثل هذه الدعوة . .

إننا لاشك نمر بمحنة عنيفة ، تبدأ أطرافها الأولى هنا على البحر ، وتنتهى هناك فى معترك الحرية واستخلاص الحقوق ، وإقامة المجتمع الصالح . .

وليس فى الإمكان أن يجتمع الخير والإثم معا ، ولا أن يشترك الحق والباطل ، ولا يمكن أن نواجه المستقبل إلا بنفوس مفطومة من الشهوات وأوضار اللذات . . فإذا لم نستطع أن نصوغ هذه النفوس ، كنا أعجز من أن نحقق لوطننا أو لبلادنا ما تبتغيه من مجد

ولا عبرة بما يقوله البعض ، من أن النفس الإنسانية تستطيع أن تجمع بين الجهاد واللذة ، أو أن بعض المكافحين والمناضلين كانوا فى حياتهم الخاصة على غير الصورة المثالية التى كانوا يدعون إليها . .

إن « البلاج » الآن مدرسة ضخمة من مدارس الرخاوة والميوعة والانطلاق ، يتلقى فيها الآباء والأمهات والشبان والفتيات والأطفال دروساً على جانب كبير من الخطورة ، إنها أبعد أثرا فى مستقبل هذا الوطن من مدرسة السينما ، أو قل إنها التطبيق العملى لتلك الصور المتحركة

إننى أشك كثيرا فى قدرة الشباب الذى اعتاد أن يقضى بضعة شهور من العام فى محيط ينضح بالإغراء ، واشترك إلى حد كبير فى تلك المناورات التى تقوم على الشاطئ وفى الأمواج ، وفى الكابينات ، أشك كثيرا فى أنه يستطيع الصمود يوما لمعركة فاصلة فى سبيل الحرية أو الإصلاح . .

وهذه الفتاة وهى النصف الثانى من الأمة ، هى الجزء البعيد الأثر فى رعاية الزوج وتنشئة الابن ، كيف يمكن أن يعتمد عليها ، وهى على هذه الصورة من الاندفاع فى العباب العنيف

أنا أومن كل الإيمان بحق الجسم فى الرياضة والهواء والماء ولكن ليس على هذه الصورة المزعجة القاسية ، التى لا يمكن أن تحتملها نفسية الشباب المراهق ، دون أن تدفعه دفعا إلى اتجاه قد يكون بعيد الأثر فى حاضره ومستقبله . .

فى الإمكان أن يتاح للأسر وللشباب وللفتيات أن يحققوا جميعا غايتهم من الاستفادة من الهواء والماء ، بطريقة أو بأخرى، أما على هذه الصورة ، فليس الأمر أمر صحة أو راحة أو إجازة ، فإن الحياة فوق البلاج ليست باليسيرة على النفوس التى تعيشها ، وليست مؤدية بأى حال إلى ذلك السلام أو الاستجمام المنشود . .

وإنما هذا « سوق » يقام ، فيه كل أنواع الصراع والصياح والضجيج ، وفيه قسوة النزاع النفسى الداخلى ، وأسباب الإغراء ، ووسائل المتاع الجسدى ، واستفزاز الشهوات ، وتدفقها واندفاعها . .

إن الحياة فى القاهرة طوال العام ليست إلا مقدمات أو نتائج لهذه الفترة التى يقضيها الفتى أو الفتاة على البلاج . إنها فترة التحضير والأحلام بالأجساد العارية ، والجلسات الماثلة والنظرات الباسمة ، أو هى النتائج القاسية للحظات التى استحكم فيها الشيطان ، أو تطامنت فيها الغريزة . .

إن « الحرية » التى يتمتع بها الناس على البلاج «ضريبة» قاسية تدفع من الأجساد ومن النفوس ومن الأرواح ، تدفع من حساب هذا الوطن ، ولا يستفيد بها إلا خصومه ، فهى

تؤخر نهضته أعواما ، بل أجيالا .. وهى لا تفسد نفوس الجيل الحاضر فحسب ، بل تترك جراثيم المرض لتنمو فى أجساد أخرى ، ما زالت يافعة نضرة ، فإذا استوت كانت أعجز من أن تقاوم التيار أو تواجه الحقائق .. فإذا ما اصطدمت فى «معركة» خرت كليلة واهية

إن الأمم التى أطلقت لنفسها العنان فى ميدان اللهو كانت قد تحررت أولا ونضجت ، واستحصدت شخصيتها .. فكان عليها بعد ذلك أن تلهو .. أما « نحن » الذين ما زلنا نكافح ونجاهد ونصارع فى سبيل الوجود الذاتى ، وفى سبيل تحرير أوطاننا ، وإقامة دعائم مجتمع كامل ، فإننا فى حاجة إلى سواعد قوية مفتولة ، ونفسيات قديمات غاية السمو والكرامة والعزة ، نفوس قـــد فطمت عن الشهوات ، وترفعت عن الصغائر ، وتسامت عن النزوات ، فحفظت كيانهـا الروحى والنفسى والعقلى قويا عاليا . . ولا شك أن مدرسة « البلاج » تتعارض مع هذا النوع من الشباب تعارضا كاملا ، بل إنها من أسباب القضاء عليه . . إنها تمده بالمادة السامة التى تحطم البقية الباقية فيه .. فلا تدعه يسطع يوما ، أو يقف موقفا حاسما ، أو يصمد فى جولة حامية

ولعل هذه المعانى هى التى جعلتنى أفكر فى «التصوف» .. التصوف المستنير الذى عرفه عمر وعلى والحسن البصرى والجنيد ..

هذا الذى يرتبط فيه الزهد فى مغريات الدنيا بالقدرة على مواجهة الحقائق ..

فليس شك أن الرجل « الجنتيل » الذى لا يستطيع أن يجهر بكلمة الحق ، هو فى الأغلب رجل غلبت عليه المطامع الدنيوية ، فهو يجامل ويتملق ، ويسمع مايكره ، ويخفى آراءه الخاصة ، حتى لا تنشأ خصومة مع فلان أو فلان ، ممن قد تضطره الحياة يوما إلى أن يلجأ إليه . . وبهـذا يقال إمعة ، ومصدر هذا أن متاع الحياة قد وقذه ، فمات فى نفسه روح الجرأة والشجاعة الأدبية

أما الصوفى الزاهد الذى استهان بالدنيا واحتقرها ، فهو أجرأ الناس فى قول كلمة الحق ، ونقد ما يراه . .

ولذلك عرف المتصوفة بالجرأة على الزعماء والأمراء والحكام يجبهونهم بكلمة الحق ، ويقولونها سافرة جريئة ولا يبالون . . لأن الحياة هانت عليهم فلم يعد يخيفهم الحرمان منها ، ولأنهم قداستخفوا بزخرفها ، واتعظت من قلوبهم مطامعها ، فأصبحوا يرددون مع الصوفى القديم « إن قتلى شهادة ، وسجنى خلوة ، وتغريبى سياحة »

والتاريخ يذكر شعيبا والفضيل بن عياض وعطاء وأبى حازم وابن السماك وعمارة بن حمزة والأوزاعى ، بأنهم كانوا زهادا صوفية ، وقفوا مواقف الجرأة فى تذكير الخلفاء بعيوبهم وأخطائهم ، ورفضوا ما يقدم لهم من أعطيات أو هدايا ، وكان الخلفاء من سليمان إلى المنصور إلى الرشيد إلى المهدى يسمعون نصحهم بقلوب واجفة ، ونفوس متأهبة لقبول النصح

وعندما وضع الغزالى أصول التصوف ، نصح الصوفية باعتزال الأمراء والحكام ، والانصراف عن موائدهم ، حتى يكون لديهم من الشجاعة ما يكفيهم لأداء رسالتهم فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر

• • •

ونحن فى حاجة إلى موجة من التصوف ، حتى نوازن ذلك الخطر «البلاجى» ، وقديما كان التصوف يغزو ميادين الحياة عندما يجنح الناس إلى الترف والغنى ، وينصرفون إلى الأمصار ويكونون الثروات ، فكان بذلك عامل « سد الفراغ » كما يقول المحدثون

ويرمى التصوف فى صميمه إلى القناعة ونفض اليد من البريق ، وشغل القلب عن المتاع ، والانصراف عن زخرف المال والنضار إلى ما هو أسمى منه ..

والتصوف فى غايته يدعو إلى القصد من متاع الدنيا ، رجاء

متاع الآخرة ، والانصراف عن كثير من حلال المتاع خوف الوقوع فى حرامه ، ويهدف إلى حرمان النفس مما تتطلع إليه مما فى أيدى الناس

وكان هؤلاء الصوفية أنفسهم يحملون السيف إبان الغزو ، فإذا انتهى الجهاد بالسيف عادوا إلى جهاد النفس وإخلاص النية لله

وليس شك أن انصراف النفس الإنسانية فى بعض العهود عن التصوف هو الذى أرخى العنان لهجمات التتار والصليبيين ، وكان عاملا فعالا من عوامل الهزيمة ، إذا واجهت هذه القوات التى كانت تحمل فكرة معينة ، جيلا مريضا رخوا قد أضرت به الرغبات وقتلت قوته وصلابته ، فلم يستطع أن يقف أمام الجحافل المثيرة أو يردها ، فلما برز مرة أخرى الرجال الذين أشربوا روح الصوفية الحقة أمثال الشهيد نور الدين زنكى وغيرهم أمكن مقاومة العتاة وسحقهم ، واستعادة مجد البلاد

هى الصوفية الناصعة الصافية التى كانت تتصم باحتقار المغانم والأموال والجاه ، فى سبيل الله ، وترى رجالها فوق سروج الخيل ، وأطباق الماء وأعماق الصحراء

إن نظام الفروسية فى ذاتها الذى اقتبسه الأوربيون ، نظام صوفى ، ونظام الصفوة القائم على الكرم والسخاء والشجاعة والمروءة نظام صوفى ، وهى تهدف فى جملتها إلى أن يجرد الفرد نفسه للأمة ، فيعيش للجماعة ويعيش للفكرة ، ويعيش للمثل الأعلى

ولا شك أن روح الصوفية الخالصة هى التى دفعت أبى حنيفة من أن يقبل القضاء ، وهى التى أدت إلى أن يجلد مالك ويعذب أحمد بن حنبل

فلست أقصد بالتصوف ، ذلك الزهد والاعتدال والاعتكاف ، فليس هذا من الإسلام فى شئ . إننا نمر بمرحلة « الضرورة » من تاريخ الوطن ، وهى تقتضينا أن نكون جميعا جنوداً ، قد أعدوا أنفسهم لاحتمال أعباء كفاح ضخم طويل المدى ، من شأن هذا الكفاح أن نعد له أنفسنا بالتربية الروحية ، هذه التربية التى تستدعى صلابة النفس وقوة الاحتمال والقدرة على مواجهة الخطوب

ولن يتيسر هذا للشباب الذى يئد شبابه ورجولته ووقته ، ويصرفها على غير وجهها

تريد ذلك « التصوف » الذى تحس النفس فيه بالقوة أمام غزوات الإغراء ، والاستعلاء أمام الملذات والشهوات ، هذا التصوف الذى يدفعنا فى الحياة كراما ، نعمل ونجاهد ونواجه الخطوب ، فنصبر لها ونقاومها ، ولا ننهزم أمامها ولا ننهار

إستانبول

أنور الجندى

مختارات من الأدب الفرنسى

شعر ونثر

للاستاذ أحمد حسن الزيات بك

مجموعة من أروع القصص القصيرة وأبلغ القصائد الفريدة لصفوة من نوابغ كتاب فرنسا وشعرائها

ثمنه ٢٥ قرشا عدا أجرة البريد

عود على بدء

الاستعمار البريطاني في الملايو

عرض وتحليل

للأستاذ محمد جنيدي

هناك في الشرق الأقصى على بعد آلاف الأميال من قلب العالم الإسلامي يرقد شبه جزيرة الملايو وبضة الأسد المتحفز للوثبة الكبرى للتحرر من قيود الذل والاستعباد

هناك وعي قومي منبعث من النفوس الحرة ، ثائر على الأوضاع الاستعمارية . يمثل القوى القومية الناهضة للقوى الاستعمارية . يضع الخطوط الرئيسية الأولى لبرنامج قومي لإعداد قوى الأمة لجهاد طويل مرير ، وكفاح شاق عنيف . تسفك خلاله دماء زكية ، وتبذل أموال طائلة ، حتى يتحقق الأمل القومي المنشود

لقد انقضى أكثر من ثلاثة قرون للحكم البريطاني في الملايو تخللتها تطورات في أنظمة الحكم ، وتغييرات في شؤون المال والاقتصاد . ولا يزال الحكم البريطاني فارضا سلطته على الشعب الملايوي مستغلا جهوده . وملايا قطر شرقي يقع في جنوب شرق آسيا ، يطل على المحيط الهندي . اشتهر في العصر الحديث بإنتاجه الزاخر من المطاط والقصدير ، وبقاعدته الحربية (سنغافورة) وأهم إنتاجه المعدني القصدير . وفي جزيرة سنغافورة القاعدة الحربية البريطانية أكبر مصفاة لتصفية القصدير الخام في العالم تملكها الشركات البريطانية . يرد القصدير الخام على الناقلات البحرية من سائر أنحاء العالم لتصفيته ثم تصديره إلى الأسواق العالمية . وأما أهم إنتاج ملايا الزراعي فهو الأرز . وتنتج غاباتها الكثيفة أنواعا مختلفة من الأخشاب . ويصدر المطاط والقصدير والأخشاب وزيت جوز الهند والأناناس والكوبرا إلى البلدان الأجنبية . وتستغل الشركات البريطانية والأوربية والصينية المزارع الواسعة التي تفيض بأحسن المنتوجات . ويتحكم البريطانيون في إنتاج المطاط وفي تقرير سعره . والمطاط هو الدافع العظيم لبقاء بريطانيا في الملايو . فقد تخلت عن بعض مستعمراتها في الهند الشرقية لهولاندا إزاء تنازل هولندا عن بعض مستعمراتها في الملايو ... ففي عام ١٨٢٤ تنازلت بريطانيا عن ولاية (Bankulen) في جزيرة سومطرا لهولندا . وتخلت هولندا لها عن مقاطعة (Malacca) في الملايو . ويظهر لنا من خلال هذا التبادل مدى اتحاد الحكومات الغربية في سبيل استعباد الشعوب الشرقية الضعيفة . وفي سبيل الاستعمار والاستغلال تأتلف القوى الغربية الحديثة وتقف جبهة متحدة أمام القوى المناوئة لها . وأبرز مظاهر التعاون الاستعماري الغربي الحديث : الحرب الكورية والقتال في الهند الصينية والحركات العسكرية في الملايو . فقد اتحدت الدول الاستعمارية الكبرى على القضاء على الحركات التحررية المنبعثة من البلدان الشرقية التي لا تزال تنجرع علقم الاستعمار الغربي . كما تعاونت تعاونا تاما فيما بينها على أحسن الطرق التي يجب على كل منها أن تتبعها إزاء ثورات الأفكار الحرة التي تطالب بالحرية والاستقلال ولا تزال نيران المعارك التحررية مضطرمة في أنحاء الشرق للقضاء على الاستعمار الغربي

بدأ الاستعمار البريطاني في القرن السابع عشر ببسط نفوذه على الملايو . فقد مهدت (شركة الهند الشرقية) البريطانية السبل أمام الحكومة البريطانية لاستعمار الملايو . والاستعمار البريطاني للملايو بدأ أولا عن طريق الفتح الاقتصادي حيث تغلغلت شركة الهند الشرقية البريطانية في حياة الشعب الملايوي الاقتصادية . وغدت المرافق العامة في قبضتها ، واستغلت جهود الشعب الملايوي في الإنتاج ، كما استغلت سوء الحكم الإقطاعي الذي تميز به ذلك العصر في ظل الحكام البريطانيين إليها . حتى تركزت قدمها وانتشر نفوذها . وغدت الحياة الملايوية الاقتصادية تحت إشرافها . فرجال الاستعمار البريطانيون رجال ذوو خبرة وكفاءة ممتازة في أعمالهم ، وذوو معرفة بعلم النفس استعملوا كل وسائل الإغراء والنفاق في جذب النفوس واستمالتها ، والوسائل الاستعمارية البريطانية قد وضحت لدى الشعوب الشرقية ، ورغم معرفتها لها ، فإن التدخل البريطاني في شؤون الشرق

لا يزال مستمرا ، وإذا حققنا الأسباب التي جعلت بريطانيا تتدخل في شؤون الشرق منذ ثلاثة قرون إلى اليوم . برزت لنا من خلال هذه القرون الطويلة مآس دامية طاوحت بالمثل الإنسانية العليا وبالكرامة والشرف ، وصفاء القلب ، ونقاء النفس ، ونزاهة العمل ، مفقودة عن بعض الزعماء الشرقيين الذين نصبوا أنفسهم زعماء على شعوبهم ، فأصيبت بلادهم وشعوبهم بالخسران المبين جزاء لما اقترفوه من إثم . ثم كانت الطامة الكبرى ، والبلية العظمى ، بلية الاستعمار والاستعباد . ولم يدر بخلد الزعماء الشرقيين أن يدرسوا حياة القادة الأوائل الذين أقاموا صروح المدنية الشرقية التي غايتها سعادة الإنسانية وخدمة البشرية ، فاحتفظوا بحرية أوطانهم قرونا عديدة ، حتى انهارت عمالكهم بخروج خلفهم عن السياسة المرسومة التي وضعت لحفظ تراث المدنية الشرقية ، أو يدرسوا حياة القادة الغربيين الذين فرضوا نفوذ حكوماتهم على الشرق ، وكيف كانت نفوسهم تسمو على الصغائر .. لكي تصفو قلوبهم ، وتنقى نفوسهم من أدران الحكم . فيسعوا متحدين لخلق قوة شعبية تناصرهم في منع التدخل الأجنبي في شؤون أوطانهم . وهذه الأمور المعنوية هي السبب الذي أوقع البلاد الشرقية تحت الاستعمار الغربي . وأوقع الملايو ضمنها . وملايا — كما عرفناها — قطر صغير مقسم إلى عدة أقسام يشرف على كل منها حاكم يلقب بالسلطان كان يحكم بلاده حكما إقطاعيا . وقد زال هذا الحكم بانتشار الوعي القومي بين الشعب الملايوي ، وبانتشار النفوذ البريطاني في مصالح الدولة

أوجد الاستعمار البريطاني في الملايو إصلاحا عمرانيا . فقد جيش الوطنيين في إصلاح الطرق وإنشاء الكباري . واستغل جهودهم في التعمير والبناء . فخطوط السكك الحديدية تقطع ملايا من شمالها إلى جنوبها ، ومن شرقها إلى غربها . وغدت بعض بلدانها مراكز هامة للتجارة الدولية . وقد اشتهرت (سنغافورة) خلال القرن الرابع عشر بمركزها التجاري للشعوب القاطنة على سواحل المحيط الهادي والهندي . واستمرت شهرتها التجارية حتى الآن ، كما اشتهرت بمركزها الاستراتيجي . وفي سنغافورة جاليات أجنبية كثيرة من شعوب مختلفة . هاجرت إليها ابتغاء المعيشة . وفتحت بريطانيا أبوابها أمام شعوب العالم لتغدو مدينة تجارية حرة في الشرق الأقصى . ثم اشتهرت بعد سنغافورة (ملقا) في القرن السادس عشر ، وأصبحت مركزا تجاريا دوليا . وحشيت بريطانيا أن تنافس ملقا جزيرة سنغافورة من ناحيتها التجارية فأغلقت أبوابها أمام التجارة الدولية . وأصبحت ذات مركز تجاري ثانوي . . ولا ننسى الاستعمار فضله في إنشاء ملايا وتعميرها ؛ فقد كانت قبل الاستعمار الأوربي قطعة أرض لم تمسها يد الإصلاح . والداخلة في عهد الاستعمار الغربي أحالها إلى قطعة جميلة توفرت فيها وسائل الترفيه والكمال . وغدت مدنها الكبرى في مستوى البلدان الراقية في الشرق . ولم يعمل الحكم البريطاني على نشر الثقافة والتعليم بين الشعب الملايوي . ويعلم القارئ الكريم أن من مبادئ السياسة الاستعمارية الغربية في الشرق عدم نشر التعليم بين المستعمرين ؛ لأن العلم والاستعمار لا يتفقان . وأما التعليم الذي نشره الاستعمار البريطاني في ملايا فهو تعليم بسيط لفئة قليلة من الوطنيين لخدمة الحكم البريطاني في مصالح الدولة . وسنتكلم في نهاية البحث عن الثقافة في الملايو منذ بدأ الحكم البريطاني فيها . وعن مجهود الوطنيين في نشر التربية الوطنية والثقافة بين مواطنيهم

تنقسم ملايا طبيعيا إلى إحدى عشرة ولاية ومقاطعة، وهي:

١ — سنغافورة ٢ — ملقا ٣ — بيراك ٤ — سيلانجور ٥ — نجري سمبيلان ٦ — فاهانج ٧ — كده ٨ — بيرليس ٩ — كلانتان ١٠ — ترنجانو ١١ — جوهور

وقد قسمتها الحكومة البريطانية إلى ثلاث وحدات سياسية، كل وحدة منها منفصلة عن الأخرى تمام الانفصال . ولكل منها حكومة محلية يشرف عليها مستشار بريطاني يتصل بالمندوب السامي البريطاني . وهذا يتصل بوزارة المستعمرات البريطانية ، وهذه الوحدات هي :

١ — مستعمرات البوغاز (Straits Settlements) وتتكون من ثلاث مقاطعات هي : (١) سنغافوره (٢) فينانج (٣) ملقا وهذه المستعمرات ليس عليها سلطان وطني . لذلك اعتبرتها بريطانيا فيما بعد من ممتلكاتها فيما وراء البحار

وهذه المستعمرات متقاربة فيما بينها ، والحركات التجارية فيها عظيمة ، ويمكن اعتبارها من البلدان التجارية الهامة فى جنوب شرق آسيا ، وقد جعلها الاستعمار البريطانى مراكز دولية فى الشرق الأقصى ، ففيها جاليات أجنبية كبيرة ، وفيها مؤسساتها الثقافية والاقتصادية ، والحياة فيها تقوم على شؤون التجارة الدولية

٢ — ولايات ملايا المتحدة (Federalde Malay States) وتتشكل من أربع ولايات كبيرة هى : (١) بيراك (٢) سلانجور (٣) نجرى سبيلان (٤) فاهانج ، والرئيس الوطنى لكل ولاية هو السلطان ، وفى عام ١٩٠٩ — أنشأت الحكومة البريطانية لهذه الولايات مجلسا اتحاديا (Federal Council) للاشراف على شؤون الولايات العليا ، ويرأسه المندوب السامى البريطانى ، وقد اختير أعضاؤه من سلاطين الولايات الأربعة المتحدة ، ومن كبار الأعيان فيها ، ومن البريطانيين والصينيين الذين ليسوا فى خدمة الحكومة المحلية ، وقد أظهر سير الحياة فى الملايو أن هذا المجلس ما هو إلا صورة خيالية أرادت به بريطانيا أن تظهر للملايويين مسايرتها للتطور الذى يحدث فى ملايا

٣ — ولايات ملايا اللامتحدة (Unfederated Malay States) وتتكون من أربع ولايات هى . (١) كده (٢) برليس (٣) كلانتان (٤) ترنجانو ، ولكل ولاية من هذه الولايات سلطان وطنى عليها . ويذكر التاريخ الحديث أن ولايات (كده وكلانتان وترنجانو) كانت خاضعة لمملكة سيام البوذية ، وفى عام ١٩٠٩ عقدت بريطانيا وسيام اتفاقية بمقتضاها انضمت هذه الولايات الثلاث تحت علم الاتحاد البريطانى (Union Jack) وأصبحت خاضعة للحكم البريطانى ، وسميت بولايات ملايا اللامتحدة ، ثم فى عام ١٩١٤ — انضمت ولاية (جوهور) إلى الولايات الملايوية اللا متحدة ، وقبلت مستشارا بريطانيا لها ، وهذه الولاية فى مقدمة الولايات الملايوية تقدما وعمرانا

لنلق نظرة خاطفة على التقسيمات الإدارية التى أجرتها بريطانيا فى ملايا لنستكشف من ورائها ما تخبئه السياسة الاستعمارية البريطانية من نايتها تقسيم ملايا إلى ثلاث وحدات سياسية ، لكل منها أسلوبها الخاص فى سياسة الحكم

إن سياسة فرق تسد لا تزال الحكومة البريطانية تتبعها فى مستعمراتها . فهذه التقسيمات الحكومية للملايا حاجز منيع أرادت به بريطانيا أن تضع ستاراً بين كل ولاية وأخرى يضعف العلاقات القومية بين كل منها . فتصبح الولاية غريبة عن الثانية . ليس هناك عامل قومى يربط بين سكانها ، وأوجدت السياسة الاستعمارية البريطانية بجانب هذه التقسيمات الإدارية حصارا شديدا على الملايويين منعهم عن مباشرة حقوقهم الشرعية فى إنشاء المؤسسات السياسية والثقافية التى تهيئ الشعب لحياة الحرية والاستقلال ، فمنذ بدأ الحكم البريطانى للملايو إلى أن وضعت الحرب العالمية الأخيرة أوزارها كان الاشتغال بالسياسة محرما على الشعب الملايوى . ولما بدأ الاحتلال اليابانى للملايو فى فبراير عام ١٩٤٢ نفخ اليابانيون فى أبواق الدعاية اليابانية (آسيا العظمى) و (الرخاء الآسيوى) فدب النشاط الفكرى فى المجتمعات الملايوية : وأقبل اليابانيون على تدريب الشبان الملايويين على الأعمال العسكرية : فشعر الملايويون بحياة جديدة أساسها التفتح والخضوع

لقد نهجت الحكومة البريطانية هذه السياسة فى إدارة شؤون الملايو . وهى سياسة استعمارية بحتة تتنافى مع الحياة فى عصر النور

كنا فى ديسمبر عام ١٩٤١ والقوات اليابانية تكتسح القوات الاستعمارية فى الشرق الأقصى وتطردها عن هذه البقعة التى يسيطر عليها الاستعمار الأوربى منذ ثلاثة قرون . فالقوات اليابانية الصفراء تنتقل من نصر إلى نصر فى معاركها ضد القوات المتحالفة فى الباسفيك وفى جنوب شرق آسيا . وفى ٨ ديسمبر عام ١٩٤١ قذفت القوات اليابانية السائرة نحو جنوب آسيا أول قنبلة على (سنغافورة) ثم تابعت سيرها على الملايو لإقصاء القوات البريطانية عنها . وفى ١٥ فبراير عام ١٩٤٢ وهو يوم تاريخى فى حياة الاستعمار البريطانى فى الشرق الأقصى عقدت وثيقة تسليم سنغافورة إلى القوات اليابانية حيث اجتمع الجنرال (Percival) مع الجنرال (Yamashita) الأول ممثل عن

الحكومة البريطانية : والثانى عن الحكومة اليابانية فى (Ford Factory) ووقعا على وثيقة تسليم ملايا إلى القوات اليابانية وغدت ملايا محتلة يابانية .

لقد دخلت ملايا فى عهد جديد من حياتها العامة . فالسلطات اليابانية المحتلة فرضت نظامها العسكرى على الشعب الملايوى . ذلك النظام الذى أحال الحياة فى الملايو إلى جحيم

ضمت الحكومة اليابانية الملايو إلى جزيرة سومطرة . وكونت منهما دائرة واحدة لها حكومة خاصة تحت إشراف قائد عسكرى . ولما صفيت الملايو من القوات البريطانية ، وانتشى اليابانيون بخمرة النصر ، وأصبحوا سادة الشرق الأقصى قدموا بعض الولايات الملايوية هدية إلى مملكة سيام البوذية جزاء للأعمال الجليلة التى قامت بها سيام نحو القوات اليابانية خلال زحفها إلى الملايو . فعندما كانت المعارك الطاحنة تدور بين القوات اليابانية والقوات البريطانية خلال الحرب الأخيرة فى الشرق الأقصى لم تجد القوات اليابانية منفذاً لها لاكتساح الملايو . فأفسحت سيام المجال أمامها بالدخول من أراضيها والتغلغل فى الأراضى الملايوية . وجزاء لهذه الخدمة الحربية التى قدمتها سيام لليابان سلمت الحكومة اليابانية ولايات (كده . برليس . كلانتان . ترنجانو) الملايوية إلى حكومة سيام لتستعمرها وتستعبد أهلها ...

دار الزمن دورته ، ودارت عجلات الحياة فى الملايو تحت احتلالها . فقد قامت بأعمال تتضاءل أمامها أعمال الشياطين ... وفى ١٠ أغسطس عام ١٩٤٥ ترنح ذلك القزم الشرقى الجبار تحت تأثير قنبلتين ذريتين ألقيتا عليه واستسلم للقوات المتحالفة . وهنا تتحرك السياسة الاستعمارية البريطانية لوضع نظام الحكم الجديد للملايو . ففى ١٥ سبتمبر عام ١٩٤٥ بسطت السلطة العسكرية البريطانية نفوذها على الملايو . وعاد الشعب الملايوى تحت الاستعمار البريطانى مرة ثانية ...

وهنا نتساءل لماذا خضع الشعب الملايوى للاستعمار البريطانى مرة ثانية ؟

هناك عدة أسباب هامة أجبرت الشعب الملايوى على قبول الأمر الواقع . بوقوع بلاده مرة ثانية تحت النفوذ البريطانى . ونتلخص هذه الأسباب فيما يلى :

١ — أن الجيش البريطانى قد بدأ يغزو الملايو قبل التسليم اليابانى ، وأنه تمكن من احتلال بعض مناطقها وفرض سلطته عليها

٢ — أن الشعب الملايوى فقير فى الرجال والقادة الذين يثبتون أمام الكوارث والخطوب . يقودون أمتهم لخوض غمار معارك التحرير ، ويقفون أمام المستعمرين يناضلونهم ويكافحونهم فى ميدان السياسة والاقتصاد .

٣ — أن الجيش اليابانى لم يترك سلاحه فى الملايو كما تركه فى بعض البلاد التى احتلها . فأصبح الشعب الملايوى أعزل من السلاح

٤ — أن فى الملايو أكثر من مليون صينى . وهؤلاء يكونون جبهة متحدة المطالبة بسيادتهم على الملايو . وهم رجال تجارة وأعمال .

٥ — أن الشعب الملايوى تنقصه الدعاية الخارجية لعرض قضيته أمام العالم الحر ، وجذب عطف الشعوب المحبة للحرية إلى جانبه .

٦ — أن القيادة الداخلية للحركات التحريرية لم توسع نطاق أعمالها فى جميع أنحاء الملايو لكى ينصف الشعب الملايوى فى وطنه الذى لاق الأمرين من الاستعمار الغربى ، وأن الدعاية الوطنية لم تنتشر الانتشار المطلوب بين الملايو بين ليشعروا بواجباتهم الوطنية نحو وطنهم

فهذه الأسباب التى أمكننا استنتاجها من الحياة الملايوية هى بعض من أسباب كثيرة جعلت الشعب الملايوى يخضع للأمر الواقع

رسم الساسة البريطانيون القابعون فى مكاتب وزارة المستعمرات البريطانية بلندن السياسة الجديدة التى ستتبعها الحكومة البريطانية فى الملايو بعد أن تضع الحرب العالمية الثانية أوزارها . فأصدرت الحكومة البريطانية (الكتاب الأبيض)

وفيه المنهاج الجديد لنظام الحكم فى الملايو . وفى أكتوبر عام ١٩٤٥ وصل السير هارولد مكميل من رجال وزارة المستعمرات البريطانية إلى الملايو . وقدم مذكرة إلى سلاطين ملايا لهو قعوها . وتنص هذه المذكرة باقرار الموقعين عليها تسليم سلطتهم إلى ملك إنكلترا . . ثم فى أول إبريل عام ١٩٤٦ ظهرت على مسرح الحياة فى الملايو الحكومة الجديدة التى أوضحت فى الكتاب الأبيض . وهى حكومة (ملايا المتحدة) (Malayan Union) شملت جميع الولايات والمقاطعات الملايوية وهى حكومة مركزية تولى رئاستها حاكم بريطانى هو السير ادوارد جنت . ويستمد سلطته من حكومة لندن . وبظهور هذه الحكومة توحدت أجزاء ملايا . وأصبح لملايا حكومة واحدة لا ثلاث حكومات كما كانت قبل الحرب العالمية الثانية ، وخسر سلاطين ملايا مركزهم المالى وهو سلطتهم .

أنشأت حكومة ملايا المتحدة مجلساً تنفيذيا وآخر تشريعيا يعاونان الحاكم البريطانى فى إدارة شؤون الدولة . وانتخب أعضاؤها من البريطانيين ذوى المراكز العالية فى الحكومة الجديدة ومن ممثلى طبقات الشعب . وأنشأت أيضا مجلسا تنفيذيا لمقاطعة سنغافورة وآخر تشريعيا . وانتخب أعضاؤها من اثنين وعشرين عضوا نصفهم ينتخبه الحاكم من أعضاء الحكومة البارزين ، والنصف الآخر من ممثلى الأحزاب السياسية ويشترط فيهم أن يكونوا من رعايا بريطانيا ومولودين فى المستعمرات الجديدة . وقد قامت حركات وطنية ضد الحاكم الجديد ، وقامت الأحزاب السياسية بتنوير أذهان الشعب حول الحكم الجديد وما يخبئه لمستقبله . واتحدت كلمة الشعب الملايوى على رفض النظام الجديد الذى سلب كل حق كان يتمتع به سلاطينه .

مضى النظام الجديد فى عمله ما يقرب من عام واحد وهو يترنح تحت ضغط الشعور القومى الملايوى الذى ناصبه العداء منذ مولده . وقد كان هذا النظام تجربة استعمارية لمعرفة مدى قبول الشعب الملايوى للاستعمار البريطانى فى وضعه الجديد وقد باءت بالفشل . فالشعب الملايوى التف حول زعمائه لدفع الحكم الجديد الذى أظهر مناوأته للحياة الملايوية الجديدة الرامية إلى مقاومة الاستعمار وإزالته من ملايا . وفى أول فبراير عام ١٩٤٧ شيع الحكم الجديد إلى مقبرته . وظهر بعده حكم آخر أساسه الاتحاد . فقد استبدل الاستعمار البريطانى حكومة ملايا المتحدة بحكومة أخرى هى حكومة الاتحاد الملايوى (Federation of Malay) وضمت كافة الولايات الملايوية عدا مقاطعة سنغافورة فانها بقيت خارج الاتحاد . حيث أعتبرت تحت التاج البريطانى .

فما هو الجديد فى الحكومة الجديدة ؟

لقد أعاد الحكم الجديد إلى سلاطين ملايا نفوذهم بعد مصادرته الحكومة السابقة . وصاروا يتمتعون بسلطتهم كما كانوا قبل الحرب العالمية الأخيرة . وأفسح الحكم الجديد المجال لممثلى الشعب الملايوى بايجاد مقاعد لهم فى مجلس التنفيذ والتشريع الجديدين . وتولى بعض الوطنيين مناصب الوزارة . وإذا دققنا النظار فى الحكومة الجديدة يظهر لنا أنها حكومة استعمارية ، فقد ترأسها حاكم بريطانى برتبة مندوب سام . واشتراك الأجانب فى التمثيل . فمجلسا التنفيذ والتشريع مكون من خمسة وسبعين عضوا منهم أربعة وعشرون عضوا من موظفى الحكومة ذوى المناصب العالية ، وتسعة وزراء ممثلون من مجالس الولايات التى شكلت الحكومة الاتحادية وعضوان عن مقاطعة فينانج وملقا ، وخمسون عضوا ، ، منهم اثنان وعشرون من الوطنيين ، وأربعة عشر من الصينيين وخمسة من الهنود وسبعة من الأوربيين ، وعضو واحد من السيلانيين ، وعضو واحد أيضا من المولدين

هذه هى تشكيلات الحكومة الجديدة ، وقد قبلها الشعب الملايوى مكرها . وخلال هذه التطورات السياسية فى أنظمة الحكم نشطت الحركات القومية التحريرية فى جميع أنحاء ملايا لمقاومة الاستعمار البريطانى فى ثوبه الجديد

أنشأ الأحرار الوطنيون الأحزاب السياسية تسعى لاستقلال الملايو ، وهى أول خطوة سياسية فعالة فى سبيل الاستقلال ، والأحزاب السياسية كالماء والهواء للشعوب المستعبدة لا تستطيع الاستغناء عنها فهى التى تكافح الاستعمار وتنشر الروح الوطنية وتلهب المشاعر والإحساسات القومية ، وتجعلها شعلة نار متوقدة ، وأهم الأحزاب السياسية الملايوية هى :

١ — حزب الاستقلال الملايوى ، ٢ — الهيئة الشعبية الملايوية المتحدة ، ٣ — حزب العمال ، ولكل من هذه الأحزاب برامجها الخاصة فى الكفاح والنضال لتحرير ملايا من الاستعمار ، وأقوى الأحزاب وأعظمها نفوذا هى (الهيئة الشعبية) فهى التى تقف أمام الحكومة الاستعمارية لتدافع عن حقوق الشعب المهضومة ، وتطالب الحكومة البريطانية باستقلال ملايو ، وتنتشر فروعها فى جميع أنحاء ملايا ، ولها منظمات كثيرة للشبان فهم سواعدها فى الكفاح والجهاد ، ويؤيد الطلبة الملايويون المنتشرون فى الشرق الأوسط والأدنى الهيئة الشعبية فى مطالبها الوطنيه وجهادها المقدس . وهؤلاء هم طلائع الدعاية الوطنية الملايويه فى أنحاء الشرق . وقد بعثوا بمذكرات إلى الحكومة البريطانية يؤيدون فيها مطالب وطنهم ، ويطالبون الحكومة البريطانية بتسليم السلطة فى ملايا إلى الوطنيين . وتدل الحياة اليوم فى الملايو على نشاط الأحزاب السياسيه الملايوية فى حركاتها التحريرية ، وهو نشاط ينبئ بالنجاح فى تحقيق الحرية والاستقلال للملايا. إن أمام الملايويين الاحرار مشاكل ومصاعب شتى تعترض سبلهم لتحقيق استقلال ملايا فى زمن قصير ، وتتطلب هذه المشاكل رؤوسا مفكرة عاملة لحلها ، وقد أبرزت الحياة الملايوية الحديثة زعماء ومفكرين يعملون فى الحقل الوطنى ، وأنتجت أعمالهم شعور الطبقة المتعلمة من الشعب الملايوى بالواجبات الملقاة على عواتقها نحو وطنها . وتكونت منها دعامة قوية من دعائم الاستقلال ، تقوم عليها ملايا فى بناء حياتها الجديدة . والبناء هو أول ماتطالبه ملايا — اليوم — فى حياتها الجديدة ، وهو شامل لكل مناحى الحياة لشعب اعترض سبيله الاستعمار قرونا لكى ينهض ويسير فى ركاب الحياة ، ونشر التعليم بكل وسائله المعروفة يؤدى إلى فتح آفاق واسعة من المعرفة بين جمهور الشعب ، وقد كان الاستعمار خلال عهده الطويل فى الملايو مبعدا الشعب الملايوى عن مناهل العلم ، فخلال الحكم البريطانى الطويل استمر ثلاثة قرون حتى أوائل الحرب العالمية الثانية لم تخرج المدارس الحكومية فى الملايو مهندسا أو محاميا أو طبيبا . فما معنى ذلك ؟

لست أجيب القارئ من هذا السؤال فهو أعلم بأسبابه منى

لقد قامت الهيئات التبشيرية والأوربية والأمريكية فى الملايو بفتح المدارس والمعاهد ، كما قامت الهيئات والمنظمات الصينية أيضا بفتح المدارس لأبنائها . وأنشأ الملايويون فى الأيام الأخيرة مدارس لتثقيف أبنائهم بالثقافة الوطنية التى ترتكز على حب الوطن وحب العلم والمعرفة . وفى الملايو اليوم مدارس ثانوية وعالية تابعة للحكومة المستعمرة وللجاليات الأجنبية وللوطنيين وأشهرها كلية السلطان إدريس للمعلمين ، وكلية البنات الملايوية ، ومدرسة الهندسة بكوالا لمفور : ومدرسة الزراعة بسلانجور ، وكلية رافلس للمعلمين والإداريين . وكلية الطب ، وهاتان الكليتان هما نواة للجامعة الملايوية . هذه هى المدارس الثانوية والعالية فى قطر يزيد عدد سكانه على خمسة ملايين نسمة ، نصفهم من الوطنيين ، والنصف الآخر من الأجانب . وفى البلدان الشرقية طلاب ملايويون منتسبون لمعاهدها العالية وجامعاتها ، وهم النواة الأولى للطلبة الملايويين الذين سيحملون مشاعل الحرية إلى وطنهم ليقيموا له حياته الجديدة على أساس العلم والمعرفة

محمد جنيدى

للأستاذ أحمد حسن الزيات بك

إحدى روائع القصص العالمى الواقعى

لشاعر فرنسا الخالد

* لامرتين *

ثمنها ٢٥ قرشا عدا أجرة البريد

اتجاه الأدب الحديث
إلى الطبيعة

للأستاذ أنيس المقدسي

الطبيعة

إذا كان الأدب القروي يعنى خاصة بحياة الفلاح والبيئة التي يعيش فيها فإن أدب الطبيعة يعنى بتصوير المشاهد الطبيعية والتعبير عما تثيره في نفس الإنسان . وليس وصف الطبيعة جديداً في الأدب العربي فقد عرفته جميع العصور الأدبية واشتهر به كثيرون من شعرائها

والوصف الطبيعي القديم وثيق الاتصال بالبيئة البدوية من قفار ورياح وأنواء ونبات وحيوان وما إلى ذلك . وهو عادة دقيق يميل إلى شرح الجزئيات؛ فإذا أراد الشاعر وصف حيوان كالناقة مثلا أو كالحمار الوحشي صور لك أعضاءه وألوانه وأوقفك على جميع حركاته وسكناته

ومن خصائص الوصف البدوي الصدق وعدم التصنع، فهو عموماً عرض واقعي لا يعمد إلى الزخرف اللفظي والتأنق الصناعي الذي نراه شائعاً في عصور الحضارة . يرى الشاعر شيئاً فيعرضه كما هو بلغة قد نراها اليوم غريبة ولكنها جلية مع سجيته منبعثة عن طبيعة بيئته

وقد تطورت البيئة العربية بعد استقرار الملك العربي في الشام والعراق ومصر والأندلس فتطور معها الشعر الوصفي ، وهكذا انصرف عن الصحراء وأحوالها إلى الحواضر الجديدة وما تحويه من بساتين ومتنزهات وفواكه ورياحين ومجاري مياه وما إلى ذلك من ظواهر الحياة المدنية . ولا بد لنا هنا من التنبيه إلى فرق واضح بين أسلوب الوصف البدوي القديم وهذا الوصف الحضري المولد . ففي الأول كما ذكرنا آنفاً يغلب الصدق والبساطة في التصوير . وأما الثاني فتبرز فيه الصناعة الفنية التي تتحرى إلباس الموصوف برداً قشيباً من الخيال . ولقد تمادى المولدون في حرصهم على ابتداع المعاني البيانية حتى طغت الصناعة عندهم على صدق العاطفة فأصبحت الطبيعة في كثير من الأحيان وسيلة لإظهار براعتهم الفنية ومقدرتهم على التوليد

على أننا إذا أنعمنا النظر في وصف القدماء عموماً للطبيعة وقابلناه بما نستجيد في أدبنا الحديث من ذلك وجدنا من الفرق بينهما ما لا نجده بين الشعر القديم أو الجاهلي والشعر المولد في العهد العباسي والأندلسي . فالطبيعة في الشعر القديم لم تتخذ موضوعاً خاصاً وإنما كان الشعر يعرض لها في سياق غرض آخر كالغزل أو المديح أو الفخر ، وكان يكتفي بأشكالها الخارجية لا يتجاوز الأفق الحسي المشاهد إلى ما هو أبعد وأعمق . وبكلمة أخرى لم ير في الظواهر الطبيعية ما يحمله على التأمل العميق وما يوحي إليه المعاني الخالدة والأفكار السامية، ولم يتغير الموقف في الشعر المولد تغيراً يصح أن يسمى اتجاهاً عاماً ، فظلت الطبيعة عند المولدين وسيلة لا غاية ومعرضاً لمشاهد جميلة لا مصدراً لإيحاءات روحية . أما الأدب الحديث فلم يقف عند حد المشاهد التي تهيج النفس بل اتجه اتجاهاً عاماً إلى ما للطبيعة من وجود معنوي بلذ للخيال الجولان فيه ويروق للفكر أن يسمو إليه

ولهذا النظر الحديث إلى الطبيعة خصائص نحاول شرحها فيما يلي :

قد يقال إن الوصف الحديث للطبيعة يمتاز بملاحظة ما لا يؤبه له عادة كانحناء السنبلة وتفتح البراعم وتبعثر أوراق الخريف وربوض البقرة تحت الشجرة واختباء الفراخ تحت جناحي أمها وتجاوب الأجراس في الوادي ولون العشب القاوي وغير ذلك من مشاهد طبيعية متواضعة ، وإنه يرتاح إلى الطبيعة الساذجة (البرية) دون المصطنعة المتنمقة . فهو يؤثر الغاب على البستان ، وشواهق الصخور على أسوار الحصون ، ومجريات الجبال على برك القصور . ورمال الشواطئ والصحاري على الساحات المعبدة في المدن أو النوادي ، والمجاري الطبيعية المتدفقة بين السهول والهضاب على الترع المحفورة لري الحقول والمزارع . بل إنه ليرى روعة خلابة في ما كان يهول القدماء كصخب العواصف وطغيان السهول وانقضاض الشلالات ووصف الرعود وتجهم الفدافد ووحشة الدياجي وتلاطم اللجج وما أشبه . وفي هذا القول شيء كثير من الصحة، على أن ذلك عند التحقيق ليس

الفارق الرئيسي الذي يميز أدب الطبيعة في هذا العصر عنه في العصور السالفة، وإنما يجدر بنا تقدمت الإشارة إليه من أن الأدب الحديث ينظر إلى الطبيعة نظراً معنوياً يتجاوز أفق المشاهدات

ومما لا شك فيه أن التصور المعنوي الذي تثيره المشاهد الطبيعية هو أقوى وأعم في أدبنا الحديث منه في أي عصر من عصورنا الماضية . ولهذا التصور أو النظر المعنوي درجات نجملها في النزعتين التاليتين :

النزعة الحيوية :

وهي اعتبار الطبيعة ذات حياة وروح يمكن مخاطبتها ومناجاتها ومبادلتها الأفكار والعواطف

وليس من الصواب القول أن الأدب القديم خلو من مثل هذا النظر أو الشعور . فقد طالما وقف القدماء على الطلول فبثوا لها أشواقهم وسألوها عن أحبابهم، وإنما فعلوا ذلك في الأغلب تمهيداً لبعض أغراضهم وجرياً على اتباع السنة الشعرية التي كانت تقتضي الابتداء بالغزل . ومنهم من أنطق الطبيعة ونسب إليها التأمل والتفكير كما فعل ابن خفاجة الأندلسي في قصيدة يصف جبلا فيقول فيه :

وقور على ظهر الفلاة كأنه طوال الليالي مفكر في العواقب

على أننا نعيد القول أن ما نجده من ذلك فيما مضى لم يبلغ أن يكون اتجاها عاما أو بابا مستقلا يلجه الأدباء ليتصلوا بالطبيعة فيستجدوا في هيكلها ويحملوا إلينا منه ما توحيه من جمالها وأسرارها ، أو على الأقل لم يبلغوا في هذا السبيل شأن زملائهم في القرن العشرين

إن الطبيعة في الأدب الحديث « حيوية » عاقلة تحس بضربات فؤادها ويسمع رجع إنشادها ويلذ له التحدث إلى أنهارها وغاباتها وجبالها ووهادها . ويمثل لك ذلك جبران جبران إذ يقف أمام « الأرض » مقابلا محاسنها بقبائح الإنسان فيقول « ما أجملك أيتها الأرض وما أبهاك . ما أتم امتثالك للدور وأنبل خضوعك للشمس . ما أظرفك متشحة بالظل وما أملح وجهك مقنعا بالضحى . ما أكرمك أيتها الأرض وما أطول أناتك ! نحن نضج وأنت تضحكين . نحن نذنب وأنت تكفرين . نحن نجدف وأنت تباركين . نحن ننجس وأنت تقدسين . نحن نكلم صدرك بالسيوف والرماح وأنت تغمرين كلا منا بالزيت والبلسم . نحن نستودعك الجيف وأنت تملأين بيادرنا بالأقمار ومعاصرنا بالعناقيد . نحن نتناول عناصرك لنصنع منها الدافع والقذائف وأنت تتناولين عناصرنا وتكونين منها الورود والزنابق ! »

وشكر الله الجر قصيدة في شلال في البرازيل يدعى « تيجوكا » وهي أيضاً من باب الوصف التأملي الذي تشعر فيه بحيوية الطبيعة . ومن أدوارها :

سألت عمائك عني وعدت فأبصرت ما الناس لا تبصر
فيالك قل لي إلام تظل كذلك تجتاحك الأعصر
وأنت تكر كرور الزمان فلا تستقر ولا تفتر
وهذا الوجود كما كان قبل شعوب تجيء وأخرى تروح
ودنيا تضج بسكانها فهذا يغني وهذا ينوح
وذلك مستسلم للقدر

وكثيرة هي وقفات الأدب الحديث على الطبيعة اللاحية من جبال وأودية وأنهار وبحار ونجوم ورياح وبحار حتى ليتعذر حصرها

وكما شغف الأدب الحديث بالطبيعة اللاحية فأحياها وجعلها ذات شعور وإدراك ، ونظر مستوحياً منها الأفكار والخواطر والعبر ، شغف أيضاً بالطبيعة الحية من نبات وحيوان فجعلها موضعاً لتخيلاته وتأملاته ، ووسيلة للتحدث عما يتجلى له في حياته

فقي عالم النبات مثلا يقص علينا جبران جبران حديث البنفسجة التي كانت تطمح أن تكون وردة

وممن استخلص من البنفسجة موضوعاً إنسانيا خليل شيبوب إذ وصف جمالها وتواضعها فقال

قد التحفت أوراقها وتطامنت على نفسها في رقة وتواضع
مكحلة الأجفان يقضي حياؤها عليها بإغضاء اللحاظ الخواشع
وهل كبرياء الدوح تعدل نظرة الملومة في ثوبها المتواضع

وفي غابة من غابات البرازيل يمر الشاعر القروي مرة فيرى دوحة عظيمة قد طرحتها على الأرض يد الإنسان فيحدثنا حديث

تلك « الدوحة الساقطة » وشكواها من جور الإنسان . وفي هذا الحديث تذكرنا الشجرة شيئاً عن حياتها ونشأتها وكيف نمت حتى أصبحت كثيرة الأغصان وارفة الظلال تأوي إليها الطيور ويقصد ظلالها طلاب الراحة . ثم تصف عالم النبات وأنه هو موطن المساواة والخير، لا عالم الإنسان الموبوء بالطمع والفساد، القائم على التعدي والتدمير . وبعد أن تنعى نفسها إلى أشجار الغاب يتناول الشاعر الحديث مستطرداً إلى وصف الدوحات البشرية (أي النوابغ) وما يصيبهم بين الناس من هوان وعناء . ومن الشعر التأملي المستوحى من عالم النبات قصيدة « الورقة المرتعشة » لرشيد أيوب .. يرى الشاعر ورقة من أوراق الخريف فتثير فيه — وقد دنت شمسه للمغيب — خواطر وذكريات ويخاطبها بقوله :

أبنت الربيع استربحي غداً ... فكل الهناء لمن لا يعي
قضيت الربيع وكل الحيا ... ة زمان الربيع فلا تجزعي
فماذا أقول أنا في الشتاء ... وصوت العواصف في مسمعي
أبيت الليالي أرعى النجوم ... وإن نمت نامت همومي معي

* * *

والشعر الحديث المستوحى من الطبيعة النباتية شعر كثير ومثله المستوحى من الطبيعة الحيوانية عالم الطيور والحشرات وحيوانات البر والبحر . وإليك منه بعض الأمثلة :

ينظر الشاعر المصري محمود حسن إسماعيل إلى الغراب وهو واقف على غصن شجرة من أشجار النخيل ، فيتصوره « راهباً » كبير السن واسع الاختبار وعوضاً عن أن يتطير منه كما يفعلون عادة يتلطف في الاقتراب إليه ثم يلقي عليه أسئلة عما لم يستطع فهمه من أسرار الحياة راجياً منه أن يجلو له أسرارها ويكشف أستارها . وهذه الأسئلة ليست في الحقيقة إلا ما يساور نفس السائل لدى تأمله في حياة الناس وأحوالهم . وقد اتخذ الغراب وسيلة للتحدث عنها والتعبير عن رأيه فيها

وفي الخريف يرى إيليا أبو ماضي فراشة وقد دنا أجلها فيجعلها موضوعاً لقصيدته « الفراشة المحتضرة » ومن هذه القصيدة قوله مخاطباً تلك الفراشة :

فالزهر في الحقل أشلاء مبعثرة ... والطير — لا طائر إلا جناحاك
يا روضة في سماء الأرض طائرة ... وطائراً كالأقاحي ذا شذاً زاك
مضى مع الصيف عهد كنت لاهية ... على بساط من الأحلام ضحاك
تمشين عند مجاري الماء رائعة ... والأزاهر والأعشاب مغداك
بالنعمة تتلاشى كلما بعدت ... إن غبت عن مسمعي ما غاب معناك

ويسمع أحمد رامي طائراً يغرد تغريداً شجياً وهو يتنقل من غصن إلى غصن فيغبطه لأنه بعيد عن الناس ويقول له :

راصد صوتك في الفؤاد صدى ... للغابر المدفون من زمني
لك أنة في الليل خافتة ... تسري إلى قلبي بلا أذن
هبني جناحك كي أطير به ... وأحط فوق شواهق القنن
وأطل فوق الكون مبتهجاً ... بجماله المتفاتر الحسن

ومن هذا القبيل موشح للشاعر العراقي محمود الحبوبي استوحاه من تغريد طائر على شجرة غناء ذلك إلى وصف الحياة والناس ، متمنيا لو كان للبشر نصيب من حياة الطائر المرحة الوديعة لعلهم يرجعون إلى صوابهم وينبذون ما أفسد عليهم سعادتهم

ولو أردنا أن نعدد الأمثلة على ما للطبيعة الحية من أثر في أدبنا الحديث لطال بنا سفر الكلام

النزعة التاريخية :

ولم يكتف أدباء هذا العهد بمناجاة الطبيعة وبثها ما يشعرون به ، بل كثيراً ما تراهم ينظرون من خلالها إلى التاريخ حيث يتجلى لهم جلال القدم وحوادث الزمان . والذي يلاحظ أن هذه النزعة تكاد تكون مفقودة في أدبنا الماضي . ومن أمثلتها قصيدة أحمد شوقي « أيها النيل » ومطلعها :

من أي عهد في القرى تتدفق ... وبأي كف في المدائن تغدق
ومن السماء نزلت أم فجرت من ... عليا الجنان جداولا تترقرق

وفي هذه الوقفة التاريخية يصف النيل مسهباً ذاكراً ما قام على ضفافه من ممالك وأديان، ومن مشى عليها من أنبياء وفاتحين، وأنه كان مهد الحضارة والعلم وموئل الحكمة ومصدر النور

ومن الأنهار الشرقية الموحية للذكريات التاريخية : الفرات ودجلة والأردن والعاصي وبردى واليرموك ونهر الكلب قرب بيروت وسواها . ومن البحيرات طبريا والبحر الميت

طبيعة الحج في الاسلام

للأستاذ محمد فياض

« مهداة إلى الأستاذ الكبير سيد قطب »

الحج في إسلاميته الخالصة ، ركن عبادي حين يتصل بالله في مناسكه وشعائره ، وأقواله وأفعاله ؛ وأساس اجتماعي حين يتجه بالمجموعة الإسلامية ، في مؤتمره السنوي العام ، إلى التنظيم والتعارف ، وإلى توحيد القوى الفردية والجماعية ، والتوجه بها شعار قبلة واحدة : عن صاحبها صدر الخلق ووجدت الحياة ، وإليه تتجه حياتنا كلها ، بما فيها من نشاط واتجاه وأهداف

وبهذه الصورة الإسلامية للحج ، تتحدد وتتأصر ، ضمن ماتتحدد به وتتأصر في الإسلام علاقة الفرد بالجماعة ، وعلاقة الجماعة بالفرد ، وعلاقة كليهما بالله الذي منحهما الوجود والحياة. علاقة لايختلف فيها باطن مع مظهر ، ولا كيف مع مقدار ،

ومن أجل هذه العلاقات ، تقوم دعائم الحج في الإسلام ، منسقة منسجمة : في استعراض عام ، حيث يشهد الله مالك الكون ، وفي توجيه عملي حار ، يرشد الفرد ويوجه الجماعة ، إلى حقيقة العلاقة بينهما ، وإلى حقيقتها بعد مع الله ، وفي وحدة عامة ، تصل السماء بالأرض ، والإنسانية بالكون ، والعباد بالله :

والحجاز من وجهة النظر إليه ، كرقعة تؤدي على ثراها شعائر الحج ، ماموقف الإسلام منه ؟ إنه ميدان الاستعراض العام ، وقاعة المؤتمر السنوي ، ومحراب التوجيه الوجداني ، ومدرسة التربية الاجتماعية . إنه الأرض التي انبثق منها روح الاسلام الأول وبقيت على أرضه « الكعبة » قبلة للانسانية الراشدة ، ورمزية محسوسة بين العباد والرب ، ومنارة معنوية للاسلام في الأرض . إنه معسكر التدريب الذي يعود منه رائده ، وفي قلبه حرارة وانفعال ، وأمامه ثلة من المشاعر والأحاسيس ، بها يملك شحنات من التجاوب : على نهجها يسير ، وعلى أضوائها يهتدي ، في فيافي الحياة ، المضللة للمقدة المختلطة المتشابكة حين يعود ؟ إنه كل ذلك وأكثر منه ! فما فكرة الاسلام عنه[1] ؟ لا : بل ماالقواعد الكلية التي تركنها فكرة الإسلام ، لتحدد طبيعة الحج ، وترتكن عليها أهدافه ؟ بل ما الوسائل التي تقر هذه الطبيعة ، وتلك القواعد ، وتحفظ لها وجودها وكيانها ، حيا ، منتجاً ، محقق الأهداف ، يلمسه الناس ويؤمنون بجدواه ؟

تبدأ النظرة الإسلامية إلى الحج أول ماتبدأ ، بتقرير القاعدة الكلية الأولى ، في النقطة الرمزية المحسوسة التي يتوقف عليها اتصال الناس بالله ، ووحدة الاتجاه الإنساني ، فتقرر هذه القاعدة أن البيت الحرام هو الملك المختار لله في الأرض ، والمقصود لتوحيد الاتجاه : لاشبر فيه ولا فتر لمخلوق ، ولا سلطان لأحد عليه سوى سلطان الله وأحكامه ، لأنه حلقة الاتصال بين الناس والله . ومن الصالح الإنساني أن يكون كذلك ، مادام قد قدر له ذلك الشرف الإلهي الخاص « وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود » : نعم ،

ولا تقتصر الوقفات التاريخية على الأنهار والبحيرات ، بل تتناول أيضاً الجبال والأودية كجبل الشيخ والكرمل وطور سينا ووادي موسى وسواها

وكما يتأثر الأدب الحديث بالطبيعة الشرقية يتأثر بالطبيعة الغربية . وقد نشر الشاعر محمد عبد الغني كلمة في مجلة الرسالة موضوعها « شعراء الشرق والطبيعة الغربية » ذكر فيها أن كثيراً من شعراء الشرق الذين عرفوا البلدان الغربية تغنوا بمحاسن الطبيعة هناك ومنهم إيليا أبو ماضي وميخائيل نعيمه وشكر الله الجر وبشر فارس والشاعر القروي ونقرى أبو السعود وأشار إلى بعض قصائد له نشرت في مجلة المقتطف سنة ١٩٣٥ ، وإننا نضيف إلى ما ذكر الموقفين المتاليين : « على نهر التامس » في لندن و « على نهر السين » في باريس

وفي أدب المهاجرين وغير المهاجرين أقوال كثيرة من هذا القبيل

أنيس المقدسي

(١) هنا موضوع آخر : نرجو أن نوفق للكتابة فيه بعد استكمال خيوطه

بهذه الإضافة بين الياء والبيت ؛ تقررت هـذه الملكية ، وهذه القاعدة

وحين نتأكد فى عقولنا هذه الأولى ، فإن هناك قاعدة كلية ثانية تقرر أن البيت ، أو المسجد الحرام ، بل الحرم الأرضى الإلهى كله آمن بطبيعة الخلق التى أوجده الله عليها ، آمن بطبيعة التشريع الإلهى للحج ، آمن لا يجب أن يخشى فيه مسلم شيئا ، أو يخاف كائنا سوى الله ، آمن يلجأ إليه أيضا من يضطهد فى دينه من سائر البقاع ، أو من يظلم فى نفسه أو عرضه أو ماله أو أهله ، لو شاء ؛ بل لقد أمن ذلك الحرم المقدس فى أعرق عهود الجاهلية ، وأشدها فتنا ووحشية ، بل لقد أمنت حتى الحيوانات والطيور فى ذلك الحرم الإلهى من اعتداء الناس ، « وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا » ، « ومن دخله كان آمنا » ، « أولم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم » ، « لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم » ، « وحرم عليكم صيد البر مادمتم حرما »

وإذا ماقررت فى الأذهان هاتان القاعدتان ، فنحن فى حل ، لنأخذ بالقاعدة الكلية الثالثة التى تحدد علاقة المسلمين بالمسجد الحرام ، وتكشف عن سر وجوده ، تنص على أن هذا البيت ، قد جعله الله ليكون بيتا للجميع من المسلمين ، يرجعون إليه رجوع الزائر القاصد لا المالك ، لتستقر فى أذهانهم وفى قلوبهم ، وتسيطر على أرواحهم ونفوسهم اتجاهات الإسلام ، وعلاقاته وأهدافه ، ثم ليعقلوا جيدا ، معنى الوحدة الإسلامية ، ومعنى الاتجاه إلى البيت كقبلة ، وكرمز معنوى محسوس « وإذ جعلنا البيت مثابة للناس » « إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة »

وحين تتقرر هذه الأخرى فى عقائدنا ، ضمن ما نحسبه من اتجاهاتنا وأهدافنا ، فإن هناك قاعدة كلية رابعة بهـا تتقرر المساواة التامة بين سائر الأفراد والجماعات ، أحمرهم وأصفرهم ، وأبيضهم وأسودهم ، سامیهم وآريهم ، لا فرق ، لا فرق بين فقير وغنى ، وحتى بين عبقرى وعادى ... مادامت تجمعهم كلمة الاسلام . ولكن أية مساواة ؟ إنها المساواة الكلية المطلقة ، لا مساواة الصلاة الجزئية المحدودة ، إنها مساواة الوحدة العامة ، مساواة مندوبى العالم ، لمن شاء أن يكون مندوبا لقومه وجماعته ونفسه ، دون أفضلية أو اختيار ، إنها مساواة التجمع حول

٣٩٠٦

بين الله فى التوجه والاستهداء ، واستشفاف النفس ، لمعانى العلاقات الفردية والجماعية والإلهية ، من مظاهر الحج وشعائره بما فيها من مظاهر وجوع ، كل نفس بما تقدر ، وعلى حد ماتستطيع بذله من أفهام ونظرات . إنها أيضا المساواة التى لا تفضل دولة على دولة ، ولا أسرة على أسرة ، ولالونا على لون ، ولا فردا على فرد ، بالقرب أو بالبعد « إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين » « والمسجد الحرام الذى جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد »

وبعد أن يفهم الناس هذه القواعد الأربع عن الحرم ، وعن ملكيته ، وعن حكمة وجوده ؛ وبعد أن تستقر فى الأذهان ، وتطمئن إليها الوجدانات والعواطف .. بعد ذلك كله تلوح فى أفق فكرة الإسلام القاعدة الخامسة التى من أجلها وجدت القواعد الأربعة السالفة ، حتى لا يكون وجودها عبثا ضائع الهدف بدون هذه القواعد الأربع الكلية . تلوح هذه القاعدة كالسقف مستندة على أربعة أركان لتقرر أن الناس جميعا مفروض عليهم واحدا واحدا الحج إلى قبلته التى يتوجه إليها ، حجة محسوسة ملموسة ، منتقلة متحركة ؛ مرة فى عمره — فمن شاء أن يستزيد فهذا موكول لحريته الذاتية — ما دام قد اعتنق شرعة الإسلام . الناس جميعا ، بلا تفريق ولا تمييز ، ولا تفضيل ولا اختيار بين واحد وواحد ، وجماعة وجماعة ، فى اللون أو المكان ، فى القرب أو البعد ، فى الزمان أو المكان ؛ الناس جميعا مفروض عليهم الحج ، واحدا واحدا ، ما دام مسلما ، وما دام قادرا على إحداثها فى عالم الواقع ، قادرا على تحمل نفقات الحج وتبعاته . « ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا » وإلا ، فـ « لا يكلف الله نفسا إلا وسعها »

ومن هذه القواعد الكلية تتبين طبيعة الحج فى الإسلام ، وتتركز تلك الطبيعة هناك ، فى الحرم الإلهى المقدس ، حيث لا تكليف على الحاج ، ولا شواغل سوى عبادة الله .. بالإيمان والصلوات ، والقربات والحج ؛ وسوى الاستغراق فى الاتصال بينه وبين الله ؛ وسوى التسامى بالروح والأشواق ، والانفعالات والوجدانات ، التطلعة إلى السماء ؛ وسوى التطهر جهد الطاقة من النزعات الجسدية والمادية اللاصقة بالأرض ... هناك فى ذلك

الفردوس الروضى فى عالم من التحرر الوجدانى ؛ تتركز طبيعة الحج فى الإسلام ، فى . وحدة الاتجاه الفردى والجماعى .. إلى الله صاحب القبلة والبيت ، والمسجد والحرم ؛ وفى وحدة المساواة الكلية المطلقة ، المتجردة بين سائر أفراد المسلمين . من أى لون ، ومن أى شعب ، وعلى أى درجة من الوعى والاستعداد والعلم

وعلى هاتين الوحدتين تتحدد وتتأصر علاقة الفرد بالجماعة وبالعكس ، وعلاقة (٢) كليهما بالله ، ضمن ما تتحدد به وتتأصر فى قواعد الإسلام ؛ ولكن هذا التحديد وذلك التأصر ؛ يبدو فى طبيعة الحج عمليا ، على أرحب مايقدمه ركن إسلامى ، وعلى أكمل ما يشمله من أفراد ، بل إنه الركن الوحيد الذى يجمع مسلمى العالم فى مندوبيهم ، فى ساحة واحدة ، ليلقنهم درسا واحدا ، هو المقصود من الحج ، هو الوحدة ، وحدة الاتجاه ، ووحدة المساواة . وبهذا وحده تقوم وحدة العالم الإسلامى ، منسقة الأفراد ، منسجمة الشعوب والجماعات ، محفوظة من الأحداث ، والتقلبات ، والخلوف ، متجهة فى وحدة ، وفى مساواة ، إلى الله صاحب الكون ، وواهب الحياة

ولكن هل تعيش تلك القواعد الكلية وحدها ؟ هل تحفظ طبيعة الحج ، حية منتجة ، محققة الأهداف ، دون وسائل وأسباب ، تحفظ عليها كيانها المقصود ؟ اللهم لا ، إنها وحدها لا تعيش !!

ومرة أخرى ؛ تتقدم الفكرة الإسلامية ، بالوسائل التى تقر فريضة الحج ، ثابتة لا يعتريها تفكك أو تخلخل ؛ تتقدم بما يحافظ على طبيعة الحج ، حية ، منتجة محققة الأهداف ؛ تتقدم بما يقى هذه الفريضة وتلك القواعد وهذه الطبيعة ، شرور الفساد والنقص والاضطراب ؛ تتقدم الفكرة بنفسها ، ثم . بوسائلها ثانية ، لتهدم مظاهر الفساد ومنابع الظلم التى يخشى منها عادة على فريضة الحج وقواعده وطبيعته ؛ وهذه المصادر ، وتلك المنابع ؛ تكمن عادة ، فى الاستبداد من فرد ظالم ، أو جماعة ضالة ، أو فرد متمرد ؛ وتكمن فى الاستغلال الاقتصادى ، المقصور على فرد أو أفراد ، وتكمن فى أخطار التاريخ وتقلبات الزمن ، من دولة قريبة أو بعيدة ، أو من مبدإ مناهض يثابر

(٢) سوف نتحدث فى فقرة أخرى عن «طبيعة العلاقات فى الإسلام»

طبيعة الإسلام ، فى كثير أو قليل ؛ وتكمن أخيراً فى التعطيل بواحد من هذه الثلاثة ، أو بعضها ، أو كلها مجتمعة ، لظاهر من مظاهر الحج ، أو جزء من كيانه ، أو تقليد من تقاليده ، أو سبيل من سبله ، أو تيسير من تيسيراته

... تتقدم الفكرة بنفسها أولا ، ثم بوسائلها ثانية ، على طريقتها المتميزة ، فى أى حقل من حقولها ، فى مخاطبة ، العقل أو العاطفة ، والضمير أو خارجه ، والفرد أو جماعته ، والسلوك أو العمل ، بالتوجيه تارة ، والتشريع أخرى ، وقد تزاوج بينهما ، ومن مصدرين متجاورين : الكتاب والسنة ...

... فتتقدم الفكرة بنفسها ، وتقيم ما يشبه القاعدة ، أو قل قاعدة مساعدة ، أو وسيلة كلية جامعة ؛ لتقاوم بطريقتها المتميزة التعطيل أيا كان مصدره ؛ فتقرر أن المعطل ، كافر ، كافر بنص القرآن « إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام .. ؛ بل إنها لتعتبره إلى جوار ما بهذه الآية من صراحة ومخاطبة بالتوجيه وبالتشريع — ملحدا ، « ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم » ، وبنفس ما بسابقتها من صراحة ومخاطبة قد صيغت هى الأخرى ، مع زائدة ثالثة ، هى فى تلك المشاعية المطلقة ، فى تنكير كلمة الظلم فيها ؛ تلك المشاعية التى دفعت بعض المفسرين ليقولوا المعصية فى الحرم سيئة مضاعفة . مع أن الحقيقة أن هناك حد من السنة ، يفسر نوع الظلم فى الحرم بأنه الاستغلال ، كما سيأتى بمدسطور. وإن كنا نرى أن هذا التشريع المفسر لا يمنع مطلقا من شمول الظلم فى الآية لسائر مصادر التعطيل عن المسجد الحرام، خاصة وفى الآية هذه المشاعية ، المتكئة فى تحديدها على آية ثالثة « ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى فى خرابها ؛ أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين ؛ لهم فى الدنيا خزى » هكذا بلفظة المنع وتعبير فى « وسعى فى خرابها »

ثم تتقدم الفكرة الإسلامية بوسائلها ثانية ؛ .. لتقيم الحواجز والسدود .. فتقدم وسيلة أولى ، مساعدة للوسيلة الكلية الجامعة ، وتقوم عليها الوسائل اللاحقة ؛ بها تقرر الفكرة وتفرض على الناس ؛ وجوب تطهير بيت الله « وعهدنا

إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود » في غير موضع من القرآن .. وبدهي أن الأمر بالتطهير ليس مقصورا على المأمورين وحدهما ، ولا موقوفا عليهما دون غيرهما من الناس ؛ وبدهي أيضا أن التطهير في مثل هذا المقام ، لا يقصد منه سوى إزالة جميع مصادر التعطيل ، في الحرم كانت ، أو فيما يؤدي إليه « وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر ، يأتين من كل فج عميق »

وتأتي الفكرة بالوسيلة الثانية لتقر الحرم في أمانه وعلى طبيعته ، بعيدا عن المعطلات .. عن طريق التوجيه تارة ... التوجيه الحار المجرد الذي يتسلل إلى ما وراء منافذ الشعور ، فتقرر أن الحرام حرام ، بحرمة من الله لا من إنسان « إن مكة حرام ، حرمها الله .. ولم يحرمها الناس » ثم عن طريق التشريع العملي أخرى ، بأربعة أسباب :

السبب الأول : أن أرض مكة ، وهي قطب الرحى ، ومركز الدائرة في الحج ، أرض مشاعة الملكية للمسلمين جميعا ، لأنها ملك الله ، مباحة لكل قاصد وكل مقيم ، لا ملك فيها لإنسان بعينه ، فلا بيع ولا إيجار . روى الدار قطني من علقمة بن فضلة « نوفي رسول الله ، وما ندعي رباع مكة إلا السوائب ، من احتاج سكن ، ومن استغنى أسكن » وفي رواية « ولا تباع » وروى عن ابن عمر « إن الله حرم مكة ، فحرام بيع رباعها وأكل ثمنها » « من أكل من أجر بيوت مكة شيئا ، فإنما يأكل نارا » « مكة مناخ ، لا تباع رباعها ، ولا تؤاجر بيوتها » .. كما أن عمر بن الخطاب نهى أن يغلق بمكة باب دون الحاج ، فإنهم ينزلون كل موضع رأوه فارغا ، كما أن عمر بن عبد العزيز عهد إلى أمير مكة أن لا يدع أهل مكة يأخذون على بيوت مكة أجرا ، فإنه لا يحل لهم ، وكانوا يأخذون ذلك خفية ومسارة

السبب الثاني : تحريم الاستغلال ، من الاحتكار ، وما يشبه الاحتكار .. من تجارة السوق السوداء ، والتلاعب بالسوق التجارية ... « احتكار الطعام في الحرم ، إلحاد فيه » يقول القرطبي : والصوم يأتي على هذا كله

السبب الثالث : تركة الجاهلية الضخمة التي أبقى عليها الإسلام ورثها ، في ذلك التقليد الرائع المشهور ، في نظام السقاية والرفادة ، والأولى معناها إسقاء الحجيج كلهم ، الماء العذب .. « مجانا » بدون مقابل . أما الثانية ، فإطعام من لم يكن له سعة في العيش أو لا زاد معه من الحجاج .. مجانا أيضا وبدون إدانة ؛ هذا النظام التيسيري بجانب مكافحة مصادر التعطيل قد عمل به الرسول ، وعمل به الخلفاء الراشدون . ثم انقطع أو كاد . حين تفشت الخلوف ، ولا ندري .. متى ؟

ثم ، تتقدم الفكرة بالوسيلة الثالثة ، لتقاوم أخطار التقلبات التاريخية ، من دولة قريبة أو بعيدة . وتمنع تيارات المبادئ المناهضة ، المغايرة للإسلام في قليل أو كثير ، سماوية مضت ، أو أرضية حدثت ، فيوصي الرسول في لحظاته الأخيرة وصية تق فريضة الحج ، وشرور هذه الأخطار وتلك التيارات ، بل إنها تكاد تحدد أيضا مكانة الحجاز جميعه ، من العالم الإسلامي والعوالم المناهضة : « لا يترك بجزيرة العرب دينان » « أخرجوا يهود أهل الحجاز ، ونصارى نجران ، من جزيرة العرب » « أخرجوا المشركين من جزيرة العرب » ؛ كل هذه الأوامر قد كانت امتدادا لعزم الرسول « لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب ، حتى لا أدع فيها إلا مسلما » ولكن : يبدو أن الرسول لم يجد الفرصة السانحة لتنفيذ تلك الخطة الحكيمة ، ويبدو أيضا أن أبا بكر كان مشغولا في حروب الردة ، وتنظيم الجزيرة ، وتثبيت أقدام المسلمين بها ، فلم تتح له فرصة التنفيذ هو الآخر حتى فعلها عمر ثم هبت الخلوف ، ولا ندري ، متى ؟

وبقيت وسيلة أخيرة ، لتقاوم الاستبداد ، من حاكم ظالم ، أو جماعة ضالة ، أو فرد متمرد .. كمصدر من مصادر التعطيل ، لم أعثر لها بعد على نص خاص . وأعتقد قبل الترجيح أن السبب في ذلك ، هو تكفل كليات الفكرة الإسلامية مباشرة ، بمقاومة هذا المصدر ، في نظام الحكم ، وفي تشريع الفئة الباغية ، والمحاربون الله ورسوله والساعون في الأرض بالفساد

وبهذه الوسائل الكلية والفرعية ، والتوجيهية والتشريعية ، المقررة الواقية : لفريضة الحج وقواعده ؛ تحفظ طبيعته حية ، منتجة ، محققة الأهداف : ذات كيان يلمسه الناس ، ويؤمنون بجدواه ، ولكن هذه الوسائل ، يتوقف تنفيذها على كل مسلم ، على وجدانه وعقله ، وعلى يقينه وعمله ، وعلى خضوعه للأمر

دراسة وتحليل

الجواهري شاعر العراق

للأستاذ محمد رجب البيومي

— تتمة —

فنه الشعري :

لا بد لنا من كلمة عن مذهب الشاعر في فنه ، وطريقته الأدبية في بيانه ، وفيما تقدم في شعره ما يكفي لإيضاح الرأي . ويمكننا أن نلمح ميزات ثلاثا يتسم بها شعره ، وتظهر متشبكة متعانقة في قريضه ، فلا تنخلع واحدة عن أختيها بحال ، هذه الميزات الثلاث هي ، صدق الإحساس ، وقوة التعبير ، وواقعية التفكير

فصدق الإحساس يخلع على أدب الشاعر عاطفة قوية حارة ، تشتعل وتتقد في سطوع وبريق ، وتدفع صاحبها إلى الإجادة والتأثير ، كما يكون لها سحر أخاذ في نفوس القراء ، فما يكاد القارئ يتلو إحدى القصائد حتى ينفعل بانفعال ناظمها ، ويسير في نياره حيث اتجه ، وتصل الأبيات إلى القلب فتحرك كوامنه وتهيج أحاسيسه ، وهنا يكون الأثر المنشود للأدب بوجه عام ، والشعر بوجه خاص ، بل إن الصدق ذاته يجعلك تحس في أعماق نفسك بخواطر متشابهة لما تقرأ ، وكأن الشاعر يعبر عن عواطفك أنت . فقد سلط أشعته على قلبك ، ونفذ إلى أغوارك فرأى الخوالج المستترة ، والكوامن الموغلة ، فجمع أشتاتها المتنافرة ، واتخذ منها مادة شهية لأدبه ، وقد تكون خواطر الشاعر الصادق بعيدة عن شعورك ونبضك ، ولكنك تجدها محببة أثيرة لديك ، وكأنك كنت تحسها قبل ذاك ! وأمامك أبيات يقولها الجواهري في رثاء بعض أصدقائه الشعراء ، تجد فيها كثيرا مما تحب أن تسمعه سواء أحسست به قبل ذلك أم بعد عن إحساسك ، فهو رائع خلاب

أصخت لئن نعاك على ذهول ... كأني قد أصخت لئن نعاني
وكنت أحس أن هناك رزءا ... وأجهل كنهه حتى دهاني
لعنت اللفظ ، ما أقسى وأطغى ... وما أعصى على صور المعاني
تقاضاني بيومك ترجمانا ... وكنت ألوذ منه بترجمان

وصدق الإحساس يلبس حلة زاهية ، إذا اقترن بقوة التعبير وهي الميزة الثانية للشاعر . والناس من قوة التعبير في ليل مشكل ، فقد فهمها الكثيرون على غير وجهها الصحيح ، فرأوها في ترادف الغرابة في اللفظ ، والتعقيد في الصوت ، فكل بيت يحتاج في فهمه إلى معجم لغوي فهو قوي كملقة لبيد ، وكل شاعر يطحن في سمك قرونا صلبة فهو متين رصين كابن هانئ الأندلسي في رأي أبي العلاء . وليست قوة التعبير لدى الجواهري من هذا الطراز العجيب ، ولكنها تظهر في تماسك الألفاظ ، وترابط المعاني مع الوضوح والإشراق . وهي بوضوحها لا تتنافى مع السلاسة والسهولة ، فقد تكون القصيدة من السهل الممتنع وهي آية في قوة التعبير ، ورصانة التركيب ، بل إن السلاسة دائما طريق الشاعر المبتدئ إلى المقدرة والإبداع ، فإذا سار في ميدانه خطوات وجد قوة التعبير تأخذ بناصره ، وتشد أزره ، مع احتفاظه بالرونق الخلاب والانسجام المترابط . وقد بدأ الجواهري قصائده سهلا رقيقا وكلف بشعراء السلاسة كلفا زائدا ، وتفيأ بروائع الوليد وابن زيدون في القديم ، وحافظ والرصافي في الحديث ونسج على منوالهم الرقيق المبدع في نظمه . وقد قرأت له بعض القصائد التي نظمها في صدر شبابه ، فكدت أنسبها إلى البحتري بعينه ، وأخص قصيدة « سامرا » الرقيقة العذبة التي قالها البحتري في القرن العشرين على لسان الجواهري ، ومنها :

الإلهي بالتطهير في الوسيلة الأولى ، فإذا حدث ، وتدهورت طبيعة الحج بانهيار أساس من أساسه ، أو وسيلة من وسائله ، فسببه ليست الفكرة ولا وسائلها ؛ إنما هو عدم الاستجابة بالفهم واليقين ، والسلوك والعمل . إنما هو انهيار الوسيلة الأولى المساعدة ؛ إنما هو التقاعد والتقاعس ، حبا في الحياة ، ولو ذليلة مهيضة الجناح مسلوبة القيم .. إنما هو النقص في الدين ، أو الخروج من الإسلام

محمد فياض

إيه أحبـاى الذين ترعرعوا ما بين أوضاح الصبا وحجوله
إنى وإن غلب السلو صبابتى واعتضت عن نجم الهوى بأفوله
لتشوقى ذكراكمو ويهزنى طرب إلى قال الشباب وقيله
أحبابنـا بين الفرات تعتموا بالعيش بين مياهه ونخيله
بلد تساوى الحسن فيه، فليله كنهاره ، وضحاؤه كأصيله
ساجى الرياح كأنما حلف الصبا ألا يمر عليه غـير عليله
وكفاك من بلد جمالا أنه حدب على إنعاش قلب نزيله

وقد سار الجواهرى مع سلاسته الرقيقة مدة أشواط ، حتى صاحبته القوة والتماسك . فانفق له من ذلك كله ألحان عذبة صادحة . تختلف انخفاضا وارتفاعا باختلاف ما يعالج فى شعره من الأغراض ، وقد نسمع له بعض الجلبة الصاخبة فى قصائده السياسية ، وهى صدى لما يهتز فى نفسه من انفعال ثائر يأخذ مظهره فى جو من الصخب والضجيج ، وفيما أسلفناه من الشعر دليل لما نقول

هذا وقد تعثر فى شعره على ألفاظ يسيرة تنكرها معاجم اللغة ، أو القواعد النحوية والعروضية كقوله

ولن تجدى كليانا نصيرا يدق من الأسى راحا براح

وقوله

أعتماً وأمات البلاد ولودة وأنك يا أم الفراتين أنجب

وقوله :

وأى زمان من مكارم أهله ألنفى والتشريد والإعدام

هذه الأبيات وأمثالها تجد نقدا صاخبا من المتتبعين للأخطاء المطبعية والهنات اللغوية — وكثير ما هم فى بريد الرسالة — ويحسبون أنهم ظفروا بصيد ثمين يجر إليهم نصيبا من الذيوع والحقيقة أن شاعرا كبيرا كالجواهرى ومن على شاكلته من أنداده الأفذاذ لا يجهلون قواعد النحو ، ومسائل اللغة ، ولكن يهملون بعض القيود التى تحد من تدفقهم المزيد ، وقد يرفضون قاعدة علمية ، فيقطعون همزة الوصل ، ويضمون ضمير النصب فى غير مكانه ، وهم يعرفون جميع ما يقوله النحاة واللغويون ، ولست أوافقهم على مذهبهم فى الاستهانة بالقواعد العلمية ، ولكنى أدعو سادتنا المتعقبين الأفاضل أن يريحوا أنفسهم من النقد اللغوى المكشوف ، لأن التعقيب يكون واجبا إذا جهل الناقد حقيقة خطئه ؛ أما إذا كان الخطأ معروفا لطلبة المدارس الثانوية — والابتدائية أحيانا — فلماذا نشغل به الناس

ونعمى إلى ميزة الشاعر الثالثة ، وهى واقعية التفكير ، والشعر العربى فى شتى عصوره يصطبغ بالواقعية ويسايرها فى كل مكان وزمان ، ولكن الهائمين بآداب الغرب وروائعه سنوا فى الشعر مذاهب جديدة ، فأصبحنا نرى الشعر الرمزى الغامض ، والخيالى الطائر المتذبذب ، وصار لكل لون أبطاله ورواده ، ولكن هناك حقيقة واحدة لا يستطيع أن ينكرها منكر ، تلك الحقيقة تنبئ أن رواد المذاهب الشعرية الحديثة لم يستطيعوا أن يفرضوا مذاهبهم على قراء الشعر العربى ، وأعوزهم أن يجدوا الشاعر الوثاب الذى يجذب الأنظار إلى مذهبه ، ويخلق له فريقا من الأشياع والتلاميذ ، وبهذا بقيت الواقعية صفة ملازمة للشعر العربى ، على أن هناك أغراضا شعرية يتحتم على المتجه إليها من الشعراء أن يكون واقعيا ، فالشعر السياسى والاجتماعى يتطلب الواقعية المحيطة الشاملة، ولاسيما إذا كان الشاعر ذا رسالة خاصة فى الإصلاح والتوجيه ، فهو مضطر إلى إلهاب العواطف واستحثاث الجماهير ، ولن يكون ذلك بغير الحديث الواضح المعقول ! وهب أن شاعرا مصلحا كالجواهرى لجأ إلى الرموز الغامضة ، والخيالات التائهة ، والأشواق البعيدة ، والسبحات الحالمة ، واتخذ منها مادة لرسالته فى البعث والإصلاح ، أفيجد من القراء من يستجيب لصرخاته، أو يحس بإحساسه وشعوره؟ هذا ما لا يعقل بحال . ويجب ألا نغفل من حسابنا أن الشعر الرمزى يحتاج إلى عقل يغوص، وذهن يطل، مما يجعل القصيدة شبيهة بمسألة حسابية أو معادلة جبرية ، وبذلك تفقد تأثيرها الساحر ، وتعجز عن أداء رسالة الشعر فى التأثير والانجذاب . وأنا لا أنكر بعض الاهتزازات الغامضة التى تختلج فى النفس حين يقرأ الإنسان بعض القطع الرمزية . ولكن هذه الاهتزازات الغريبة تخلق مزيجا غريبا من الحيرة والقنوط والتساؤل ، وتغرق القارئ فى بحر لجى لا ساحل له ، وهيهات أن يرحب بالغرق عاقل حصيف ، فمتى يجد هؤلاء الحالمون الواهمون شاعرا كبيرا يقود الأذواق إلى مذهبهم الجديد فيمهد له سبيل الذيوع

على أن الواقعية قد أصيبت بكارثة فادحة ، تحاول أن تبغضها إلى الأذواق والقلوب ، فقد دأب بعض المتشاعرين أن يتخذوا من الحوادث اليومية ، والأخبار الصحفية مادة للنظم الواقعي فيصدموا القراء بما هو شبيه بقول حافظ إبراهيم

ثلاثة من رجال النيل قد وقفوا
على مدارسنا سبعين فدانا

ثم يدعون أنهم يعيشون في الحياة ، ويسيرون مع الواقع ، ويعبرون عما يجد في البيئة من شؤون . ويجب أن يفهم هؤلاء السادة أن رسالة الشاعر الواقعي ليست هي التعبير عن الأخبار الصحفية بكلمات موزونة مقفاة ، ولكنه يرى الحادثة فيتأثر بها ، وتثير في نفسه انفعالات خاصة ، وتصل إلى ذهنه فتوحي إليه فيضا من الإلهام الصادق ، ثم تجول في خاطره ثائرة حارة ، فلا يفقده منها غير التعبير عما تخلقه من انفعالات ، وما توحي به من إلهام يبرق بالومض والالتماع . وهنا تكون الحادثة نواة صغيرة لما يدور حولها من ذبذبة وانفعال؛ أما أن تكون الحادثة وحدها مصبوبة في القوالب العروضية ، فالأجدر بالقارئ أن يغفلها تمام الإغفال ، مكتفيا بما قرأه عنها في الصحف والمجلات

وقد نأخذ على الجواهري إخلاله بوحدة القصيدة ، وأرى أنها تتعذر على الشاعر السياسي الذي تتصدد أمامه مظاهر الفساد فيريد أن يلم بها وينبه عليها فوق كل مدبر يستليه ، فإذا تركنا الشعر السياسي إلى غيره وجدنا الشاعر يلتزم الوحدة في أكثر ما قال ، وللقارئ أن يطالع قصائده الوصفية مثل دجلة في الخريف أو الفرات الطافح؛ أو الأصيل في دجلة أو سامراء، فسيجد ما يرضيه من وحدة الموضوع، وترابط المعاني، وتناسق الأفكار. ويهمنا أن نشير إلى مقطوعاته الغزلية الرقيقة التي نظمها في حبيبته الباريسية « أنيت » فقد ظهر فيها الشاعر جديدا في أخيلته ومعانيه ، جديدا في أوزانه وقوافيه، جديدا في نظرته الباسمة للحياة والناس، مع أنه لم يفارق ميزانه الثلاث ، فكان صادق الإحساس ، قوي التصوير ، واقعي التفكير ، فوق طرافة الابتكار ، وجدة السياق، واختلاف الإيقاع . وأرى أن أودع الشاعر — في ختام هذا البحث السريع — بأبيات من قصيدته الجميلة التي نظمها في وداع صديقته «أنيت» لتمتع القارئ ببعض غزله الرائق، وللقصيد المناسبة الموهومة بين وداع ووداع

« أنيت » نزلنا بوادي السباع
بواد يذيب حديد الصراع
يعير فيه الجبان الشجاع
(أنيت) لقد حان يوم الوداع
إلى إلى حبيبي « أنيت »
إلى إلى بجيد وليت !
كأن عروقهما النافرات !
ضروب من الكلم الساحرات
٥ ٥ ٥
إلى بذاك الجبين الصليت
تخافق عن جانبيه الشعر
بيت إلى أريج الزهر
سيعبق في خاطري ماحييت
ويذكرني صبوتي لونيت
إلى إلى حبيبي « أنيت »

(تم البحث)

محمد رجب البيومي

وزارة الحربية والبحرية

تقبل عطاءات بديوان الوزارة لغاية يوم ٣٠/٧/١٩٥٢ عن توريد أدوات كهرباء — سلك — دواية — ماسك كروشيه — عازل صيني — مواسير زنك — مفتاح — موصل كهرباء — لمبات وخلافه

وتطلب الشروط على ورقة تمغة فئة الخمسين مليما مقابل مبلغ ٢٥٠ مليما من إدارة العقود والمشتريات بالوزارة ، تضاف إليها ٨٠ مليما أجرة البريد

٢٠٤٨

ديوان مجد الاسلام

نظم المرحوم الشاعر أحمد محرم

يقدمه الأستاذ ابراهيم عبد اللطيف نعيم

من قباء إلى المدينة

أقبل فتلك ديار يثرب تقبل ... يكفيك من أشواقها ما تحمل
طال التلوم(١) والقلوب خوافق ... يهفو إليك بها الحنين الأطول
القوم مذ فارقت مكة أعين ... تتطلعون إلى الفجاج وتولهم
أقبلت في بيض الثياب مباركا ... تأبى الكرى وجوانح تتململ(٢)
يا طيب ما صنع الزبير وطلحة ... أفذا يطالعنا النبي المرسل ؟
خف الرجال إليك يهتف جمعهم ... يزجى البشائر وجهك المتهلل(٣)
هي في ركابك ما بها من حاجة ... واستبك الأرض أجل وأفضل
هجرت منازلها بيثرب وانتحت ... وقلوبهم فرحا أخف وأعجل
وغدان هذا من ورائك يرتمي ... إلا إليك ، وبالها متجول
انظر بني النجار حولك عكفا ... أخرى بمكة دورها ما تؤهل
لم ينزلوك على الخؤولة وحدها ... مجلا وهذا من أمامك بذبل(٤)
نزلوا على الإسلام عندك إنه ... يردون نورك حين فاض المنهل(٥)
ما للديار تهزها نشواتها ! ... كل المواطن للنبوة منزل
رفعت نضارتها وطاب أريجها ... نسب بعم المسلمين ويشمل
فكأنما في كل مغنى روضة ... أهي الأناشيد الحسان ترتل(٦)
من العذارى المؤمنات أتنه ... وترددت أنفاسها تتسلسل
عيدا تحييه الملائك من عل ... وكأنما في كل دار بلبل

(١) التمكث والانتظار (٢) كانوا يخرجون كل غداة إلى الحرة ينتظرونه صلى الله عليه وسلم حتى يردهم حر الظهيرة (٣) هي الثياب التي كساه إياها الزبير وطلحة في قفولها من الشام بتجارتهما (٤) بسرع
(٥) كان معه في قدومه من قباء إلى المدينة ملأ من بني النجار متقلدين سيوفهم ، وهؤلاء غير الذين لقوه واحتفوا بقدومه (٦) فرح النساء والعذارى كما فرح الرجال بقدومه ومما قيل في ذلك :

نحن جوار من بني النجار ... يا حبذا محمد من جار

في موكب فله أشرق نوره ... فيه وقام جلاله يتمثل
جمع «النبيين الكرام» فآخذ ... بيد «الإمام» وعائد يتوسل
يمشي به «الروح الأمين» مسلما ... وجبينه بفم النبي مقبل
إيه بني النجار إن محمدا ... لأشد حبا للتي هي أجمل(٧)
خلوا سبيل الله ، ما لرسوله ... عما أعد من المنازل معدل
ذهبت مطيته ، فقيل لها قفي ... هذا مناخك ، لست ممن يجهل
الناس في طلب الحياة وها هنا ... سر لها خاف ، وكنز مقفل
أعطى أبا أيوب رحلك واحدى ... من أمر ربك ما يجيء ويفصل
ودعى الزمام «لأسعد بن زرارة» ... فإليه بعد الله أمرك يوكل(٨)
لما حملت الحق أجمع والهدى ... أمسي بحبل الله حبلك يوصل
يتنافس الأنصار فيك وبادروا ... لمن المفاز ، وأيهم هو أول
هي «كيمياء الحق» لولا أنها ... تهدى العقول لخلتها لا تنقل
دنيا من العجب العجاب ودولة ... بهوى النضار بها ويعلو الجندل
أرأيت أهل الكهف لو لا سرها ... هل كان يكرم (كابهم) ويبجل
شكراً (أبا أيوب) فزت بنعمة ... فيها لنفسك ما تريد وتسأل
ما مثل رفدك في المواطن كلها ... رفد يضاعف ، أو عطاء يجزل
لله دارك من محلة مؤمن ... نزل الحمى فيها ، وحل المقفل
نزل النبي بها ، فحل فناءها ... مجد يقيم ، وسؤدد ما يرحل
مجد (الفتوة) في ضيافة ماجد ... سمح القرى يسدي الجزيل ويبذل
وسمت جفان المطعمين جفانه ... كرما فما يأبى ولا هي تبخل(٩)
أضفى على السعدين(١٠) برد سماحة ... فاهتز جودهما وأقبل يرفل

(٧) كان صلى الله عليه وسلم كلما مر في طريقه إلى المدينة بقوم يسألونه أن ينزل فيهم فيقول : خلوا سبيلها — يعني ناقته القصواء — فانها مأمورة ، فلما بلغ دار عدي بن النجار قال له بنوه : نحن أخوالك ، لا تجاوزنا فقال : خلوا سبيلها فذهبت حتى بركت عند دار بني مالك بن النجار بقرية من باب أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه وذلك في محل المسجد ، واستأذن أبو أيوب النبي في حل رحلها إلى داره فأذن له ، ونزل رسول الله ومعه زيد بن حارثة رضي الله عنه على أبي أيوب وقال المرء مع رحله - فمكث عنده حتى تم بناء المسجد

(٨) أخذ سعد بن زرارة رضي الله عنه ناقة النبي إلى داره (٩) كان المسلمون يتنافسون في حمل الجفان إلى دار أبي أيوب كرامة للرسول الكريم ومشاركة منهم في شرف ضيافته وكانت توافيه جفنة سعد بن عبادة وجفنة أسعد بن زرارة رضي الله عنهما كل يوم ، وكانت جفنة سعد بعد ذلك تدور معه صلى الله عليه وسلم في بيوت أزواجه رضي الله عنهن
(١٠) هما سعد وأسعد على قاعدة التغليب

جذلان محتفلا يقرب منهما ... لله مايرضى وما يتقبل
جعل القرى سببا إلى رضوانه ... والبر والإيمان فيما يجعل

جفنة أم زيد بن ثابت (١١)

يازيد من صنع الثريد وماعسى ... ترجو بماعملت يداك وتأمل ؟
بعثتك (أمك) تبتغي في دينها ... مايبتغي ذو الهمة المتعمل
شكر النبي لها، وأطلق دعوة ... صعدت كما شق الفضاء مجلجل
أطيب بتلك هدية يسعى بها ... في الله ساع بالجلال مظلل
لو أنها وزنت بدنيا (قيصر) ... رجحت وأين من الخضم الجدول
هي إن عيبت بوصفها مايجتني ... من نعمة الإسلام، لامايؤكل
ماني جهادك (أم زيد) ربية ... نار الوغى احتدمت وأنت الجحفل
شرع (١٢) سرابيل الحروب وما اكتسى ... من سابغات الخير من يتسربل

المهاجرون في ضيافة الأنصار

يامعشر الأنصار هل لي عندكم ... ناد يضم النابغين ومحفل ؟
عندي لشاعركم تحية شاعر ... يسم القوافي وسمه يتنخل (١٣)
تنميه في دنيا البيان روائع ... منها رواكد ما تريم، وجفل
الثاويات على هدى من ربها ... والسابحات السانحات الجول
شغلت بها الدنيا وماهي بالتي ... تعنى بدنيا الجاهلين وتشغل
تأبى القرار بكل واية ممحل ... وتحل بالوادي الذي لا يمحل
(حسان) أبلغ من يقول وليس لي ... فيه إذا ادعت المصاقع مقول (١٤)
أنتم قضيتم للنبي ذمامه ... ونصرتم الحق الذي لا يخذل
وصنعتم الصنع الجميل كرامة ... لمهاجرين هم الرفيق الأمثل
عرفت موضعكم وكيف سعايكم ... مجد لكم في المسلمين مؤثل
وأذعته نبأ لكم ما مثله ... نبأ يذاع ولا حديث ينقل
القوم قوم الله ملء دياركم ... وكأنهم بديارهم لم يرحلوا (١٥)
الدين يعطف والسماحة تحتفي ... والحب يرعى، والمروءة تكفل
والله يشكر، والنبي بغبطة ... والشرك يصعق والضلالة تذهل
(دين الهدى والحق) في أعراسه ... والجاهلية في المآتم تعول
إن هالها الحدث الذي نكبت به ... فلسوف تنكب بالذي هو أهول
زولي معطلة العقول، فمن قضى ... أن البصائر والعقول تعطل ؟؟
ألق السلاح، فما لخصمك دافع ... ودعي الكفاح، فما لجندك موئل
أزرى بك الفشل المبرح وارمى ... بحمائك القدر الذي لا يفشل
السهل يصعب إن تواكلت القوى ... والصعب إن مضت العزائم يسهل
أرسى المعاقل مؤمن، لا نفسه ... تهفو، ولا إيمانه يتزلزل
هذا النذير فإن أبيت سوى الأذى ... فالأرض بالدم لا محالة تغسل
علقت بعقبك السهام وماعسى ... يبقى الرمي إذا أصيب المقتل ؟
الله أكبر، كل زور يقتضي ... مر السحاب، وكل إفك يبطل

(١١) كان أول طعام أهدى إلى النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة.. قال زيد له هذه قصعة أمي فقال: بارك الله فيها (١٢) سواء
(١٣) يختار.
(١٤) ادعت انتسبت لإظهار فضلها وشرف سابقتها، والمصاقع جمع مصقع البليغ العالي الصوت لا يرتج عليه في كلامه، والمقول هنا من أسماء اللسان (١٥) تفرق المهاجرون ضيوفا كراما في دور الأنصار

ظهرت الطبعة الثانية للرحلات الأولى والطبعة الأولى
الرحلات الثانية من كتاب
رحلات
لصاحب العزة الدكتور عبد الوهاب عزام بك
سفير مصر في الباكستان
ثمن الأول ثلاثون قرشا والثاني أربعون قرشا عدا أجرة البريد
والمجلدان يطلبان من مجلة الرسالة ومن المكتبات الشهيرة

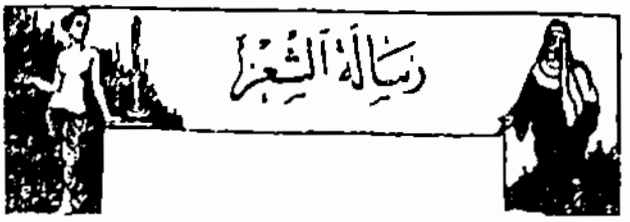

خـــواطر

لصاحب العزة الدكتور عبدالوهاب عزام بك

قافلة البشر

يسير الناس على هذه الأرض فى سبل الحياة ، تنهم السبل أحيانا وتظلم ، وتعترض العقبات ، وتبعد الشقة ، ولكن الأمل يحدوهم ، والوجدان يبصرهم فيهتدون ويسيرون

قيل : ليل مظلم قلت : اذكروا ... فى ظلام الليل إشراق الصباح
قيل : غيم مطبق قلت : انظروا ... رب نجم من وراء الغيم لاح
قيل : مهب طامس مشتبه ... قلت : لكن فيه للسفر اتضاح
قيل : لكن برح السير بنا ... قلت : بعد السير إحراز النجاح
قيل : والمنزل ما آياته ؟ ... قلت : فى منفناه للنار اقتداح(١)
قيل : هل ذاك قصارى سيرنا ... قلت : بل نزل به السفر يراح
قيل : فالتسيار ما غايته ؟ ... قلت : كل الدهر سير ، لا يراح

لست طروبا

قال لى اللائمون : لست طروبا ... لك حقا إلى الصخور انتماء
كم تثير الأوتار لحنا فلحنا ... ويهز الأوتار منا غناء
وترى الناس ثائر الموج لكن ... أنت فى الموج صخرة صماء

• • •

وعلى البحر والمشى صموت ... غير لحن تثيره الدأماء
والهلال النحيل يلقى خيوطا ... هى فى لحة الدجى أسداء
قد طربنا ولم يهز فؤاداً ... فيك نور ولم يهز الماء

• • •

كم رأينا الجمال قيد عيون ... لك منه برغمنا إقضاء

(١) لا يهتدى الناس إلى الغاية فى هذه الحياة إلا بعيص من الإلهام يعلم على المنزل .

تدعى الشعر والفؤاد جماد ! ... كيف ترضى انتسابك الشعراء
إن تكن شاعرا فأمرك بدع ... أنت فى الشعر بيننا إقواء
حسبك الله قد بلغت ملاما ... وحماك الصواب هذا الهراء (٢)
طرب الطفل ونهة وصياح ... ومن الكهل بسمة خرساء
ومن الغصن فى الرياح اهتزاز ... ومن الطود عزة شماء
ضاق قلب من الجمال مجالا ... فإذا كل سره أصداء
رب قلب وعى الجمال ولكن ... عز فيه لسره إفشاء
رب قلب حوى العوالم طرا ... تصغر الأرض عنده والسماء

صافوه شذى الأنجم

قال الصديق ، وقد أطال حواره : ... يا صاحبى ! ماذا وراء الأنجم ؟
قد هالنى منه سؤال هائل ... فأجبته بتعجب وتبسم !
يا صاح ! هذى الزهر هل أدركتها ... حتى تجوز إلى السؤال المفحم ؟
يا صاح ! ما تحت النجوم ؟ أعالم ... ما تحتها فى الكون أم لم تعلم ؟
يا صاح ! أرشك بعده هل تعرفن ... ما فى ضمير الأرض من مستعجم ؟
بل ما عليها ؟ هل أحطت بعلمه ... فى البر أو فى كل بحر خضرم
وجمادها ونباتها والسر فى ... حيوانها من ناطق أو أعجم
أعرفت هذا الإنس فى آحاده ... ونباته فى بؤسها والأنعم
ابدأ بنفسك فاعرفنها جاهدا ... والأرض فانفذها بعقل مقدم
واصعد بعلمك طالبا من مستوى ... ما فوقه ، كالمرتقى فى السلم
فإذا بلغت من الكواكب منزلا ... فهناك فاسأل ما وراء الأنجم

(٢) هذا البيت وما بعده جواب اللائمين

النهر الشاعر *

للاستاذ أنور العطار

نقلها إلى الإنكليزية شعراً المستشرق البريطانى الكبير السيد « أرثور جون أربرى » أستاذ الآداب العربية فى جامعة « كامبردج » فى كتابه « أزهار الشعر »

بردى المشتهى يفكر شعرا ... وهو يحيا لحنا وينساب عطرا
فى حناياه أضلع تتناجى ... وقلوب من حرقة الحب حرى
خبر العالمين جيلا فجيلا ... ووعى الكائنات دهرا فدهرا
خط فى مصحف الوجود سطورا ... باقيات تختال تيها وكبرا

* من كتاب « أزهار الشعر » ص ١٣ لندن — مطبعة طيلورس للكتب الأجنبية جمع ونقل : « أرثور جون أربرى »

صلاح الدين الأيوبي

مسرحية

للمراغية الأستاذ عبد الرحمن البنا

للاستاذ محمد رجب البيومي

الأستاذ عبد الرحمن البنا مؤلف مسرحية « صلاح الدين الأيوبي » داعية غيور متحمس لعروبته وإسلامه ، وخطيب ساحر تعرفه منابر الإخوان المسلمين في عواصم المديريات ومراكز القطر المصري ، وهو — فوق ما يتمتع به من البيان الجزل ، والأدب الرصين — يستمد من إيمانه العميق ينبوعا دافقا للحديث المؤثر الخلاب ، وقبسا ساطعا للهداية الملهمة الرشيدة ، وأنت تجلس إليه في حديث عام فتسمع كلمات : « العروبة والقرآن ومحمد » تتزاحم مطردة في غير سأم ونشاز على لسانه ، فتدرك أن معانيها الحبيبة قد تحولت دما يجري في عروقه ، وعاطفة تتأجج في جوانحه ، وعصبا تعتد شباكه في رأسه ، ورغم دراسته المدنية ، قد حفظ القرآن الكريم حفظا جيدا ، وفهم شروحه المتنوعة فهما واعيا مستنيرا ، وحفلت ذاكرته بعدد زاخر من الأحاديث النبوية المنتقاة ، ودراسة وافية للتاريخ الإسلامي في شتى عصوره ، فتهيأ له من ذلك مادة غزيرة تنصره في ارتجاله الخطابي الذي يتكرر في اليوم الواحد عدة مرات ، وترفعه إلى مستوى يتطلع إليه كثيرون من أصدقائه ومريديه

وقد رأى أن يخدم دعوة الإخوان (التي حمل لواءها شقيقه الإمام الشهيد رضي الله عنه) — بقلمه كما خدمها بلسانه ، فأظهر عدة روايات إسلامية تبرز العناصر الهامة في تاريخ الدعوة المحمدية ، وتصور للقراء انتصار الفكرة المخلصة ، والعقيدة الصادقة ، وقد مثلت جميعا في فترات متقاربة ، وحظيت بإقبال الجمهور وتزاحمه رغم بعدها الشديد عن التدجيل المسرحي الوضيع ، والذي يتملق الغرائز ويستثير العواطف ، بل قيد الكاتب نفسه في كل كلمة وحركة بآداب الإسلام ، وتعاليمه المنتقاة ، وهذه روايته الرائعة « جميل بثينة » — مع ما يلوح من بعدها عن محيط الفكرة الإسلامية — قد حلقت في هذا الأوج الطاهر الرفيع ، فصورت معاني الوفاء والمروءة والصدق والشرف ، ورسمت — في فصل طويل — مناظر الحج والعمرة والطواف والسعي والاستلام ، والنسك ورمي الجمرات والأضحية والتلبية ، وقد أطال الكاتب في ذلك إطالة ممتعة مشوقة ، يهب منها شذى إسلامي عاطر ينعش الأفئدة ويجذب الأرواح

وحين تقدمت الجيوش العربية إلى نجدة فلسطين الشقيقة رأى الأستاذ أن يهتبل الفرصة ، فيذكي الحماس ، ويثير الحمية ، فأخرج مسرحيته الموفقة عن صلاح الدين الأيوبي ، ومثلتها الفرقة الإسلامية المسرح بدار الأوبرا الملكية إبان اشتعال المعركة منذ أعوام ، فتركت أثرها القوي في نفوس الشبيبة الطاهرة من كتائب الإخوان ، واندفعوا إلى حومة الاستشهاد بإذن أرواحهم رخيصة في سبيل الله ، وقد شاء المؤلف أن ينشر مسرحيته اليوم على الناس ، فأبرزها في حلة زاهرة قشيبة ، وقد حفلت بثلاثة فصول قوية محكمة .. وإذا كان العمل الفني يشوه بالتلخيص تشويها يذهب بأصالته وعمقه وجدته ، فنحن نكتفي بذكر العنوان الموجز لكل فصل من الفصول ، فالأول منها يصف المؤامرة

معجبات أنق من الفن لألا ... ء وأبهى من سطعة العلم فكرا
يتلوى زهواً كراقصة الحا ... ن تزى وجداً وتقطر خمرا
مر في الأرض كالربيع انثلاقا ... وكأيامه صفاء وبشرا
وكما جلق الأنيقة ثوبا ... عبقريا من نعمة الفجر أطرى

* * *

أيهذا النهر الحبيب إلى نفـ ... ـسي ويا ملهمي إذا قلت شعرا
عش بقلبي لحنا على الدهر حلوا ... واسر في خاطري فنونا وسحرا

أنور العطار

المواهب المقدرة :

نشرت جريدة المصري في ١٢/٧/١٩٥٢ أن وكالة «تاس» للأنباء السوفيتية أذاعت بأنه منح أخيرا لقب « دكتور في العلوم العملية » لأحد الفلاحين في مزرعة « شوكاومكا » الجماعية وقد نال هذا اللقب دون أن يقدم بحثا في هذا الموضوع كما هي العادة.. وقالت الوكالة: «إن هذا الفلاح وصل إلى اكتشافات عظيمة تنهض بفن الهارة إلى حد كبير . ومن هذه الوسائل العملية التي استحدثها استعمال الجير الحي بدل الجير المطفأ مما يوفر ٢٥ إلى ٣٠ ٪ من الأيدي العاملة »

قرأت بعجب هذا الخبر الذي إن انطوى على شيء فإنما ينطوي على مدى ما تتمتع به هاتيك البلاد من نهضة وتقدم يدل عليهما تقديرها لمواهب الناس العلمية ، ولو كان هؤلاء الناس ممن لم يتمتعوا بالمؤهلات العلمية الضخمة ، ولا بالشهادات الدراسية العالية ، ضنا بالمواهب أن تتلاشى أو تختفي ، أو يحول بينها وبين البروز الحواجز العتيقة من المؤهلات والشهادات وما إليها ..

ترى كم في مصر والشرق من نوابغ موهوبين في شتى العلوم والفنون ، فهل سمعت أن وزارة من وزارات المعارف تفازلت فشملت بعطفها واحدا من هؤلاء تقديرا لنبوغهم ومواهبهم ، وضاربة صفحا عن الحواجز البالية من المؤهلات والشهادات ؟

إن في مصر والشرق شبابا وكهولا بلغوا القمة في النبوغ والشهرة في شتى العلوم والفنون دون أن ينالوا ذرة من تقدير وزارات المعارف ، وليس لهم من ذنب سوى أنهم — لظروف خارجة عن إرادتهم — لم ينالوا مؤهلات ولا شهادات، ولو أنهم نالوا التقدير والتشجيع لفتحوا الآفاق الفسيحة أمام مهرة الصناع ونوابغ الفنانين ...

إن إحدى جامعات أمريكا احتاجت إلى إنشاء كرسي لفن طبائع الطيور ، ولم يشغله إلا صياد له خبرة واسعة في صيد الطيور وهذه كل مؤهلاته أما في مصر والشرق فإن معوقات النهضة فيهما أسلوب من الأساليب البالية التي يجب أن تتلاشى إلى غير رجعة !!

رمل الإسكندرية — نعيمة اليمني

تصويب واستدراك :

السلام عليكم وبعد فقد جاء في العدد ٩٩١ ص ٧٢٧ للأستاذ عدنان بعنوان في مقال لعميد الأدب ذكر المؤلفات العربية التي تعنى بالنقود أخطأ فيه الأستاذ وفاته أشياء.

فأما الخطأ فقد ذكر الرسالة المخطوطة التي أشار إليها الحكرملي وهي رابع كتب النقود التي يعرفها منسوبة إلى الخبيثة التي دبرها الفاطميون لحق الدولة الأيوبية بمصر ، والثاني والثالث يصوران المعارك الحامية التي شنها بطل الإسلام صلاح الدين على أعداء العروبة من الصليبيين . وقد وفق الكاتب حين عمد إلى إبراز الأوضاع السياسية الغابرة التي تشترك مع أوضاعنا الراهنة في كثير من الأمور ، فالهدنة المعقودة، ونقضها المتكرر ، وقتل النساء ، والأطفال والشيوخ ، وتحالف الدول الغربية مع الباطل أمام الحق ، وتدفق الكتائب الإسلامية من مصر وسوريا وفلسطين ... كل ذلك كان بالأمس كما هو اليوم !! وإذا كان النصر النهائي قد حالف صلاح الدين القوي المتسامح في وثبته الظافرة ، فما زالت معركة اليوم تتطلب فصلا أخيرا يرجع الحق إلى نصابه ، ويقشع عن فلسطين كابوس السفلة الأنذال ، فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فتحقق الآمال، وتتفق المركتان !!

وإني لأهنئ الأستاذ المؤلف بجهاده وإبانه ، وأبارك جهوده الموفقة في سبيل دينه ووطنه ، ولا زلت أنتظر على يده السداد المأمول ، فهو صدى شقيقه الإمام ، وشعاع من شمس أنارت الظلمات ، ثم صعدت إلى ملئها الرحيب في جنات النعيم ، راضية مرضية برضوان الله وثوابه العميم

محمد رجب البيومي

تقي الدين المقريزي والصواب أنها لمصطفى الذهبي الشافعي كما جاء في ص ٦ من كتاب النقود العربية للكرملي

وأما ما فاته فأولا ذكر كتاب النقود لحسين عبد الرحمن باشراف وزارة المالية المتوفى في جمادى الأولى سنة ١٣٦٧ وهو كتاب كبير حافل يقع في أكثر من ٢٦٢ صفحة وصدر منذ أكثر من أربعة عشر عاما وفيه صور كثير من النقود من صدر الإسلام إلى الآن

وثانيا كان ينبغي للأستاذ عدنان أن يذكر أن رسالات البلاذري والمقريزي ومصطفى الذهبي نشرها الكرملي كاملة في صدر كتابه وصححها وعلق عليها ، فالإشارة إليها أفضل من ذكر طبعة الجوائب وغيرها

وثالثا كان ينبغي للأستاذ اعتبار كتاب الكرملي خامس الكتب العربية التي تعنى بالنقود، فإنه بعد أن نشر في صدر كتابه الرسائل المذكورة آنفا ذكر أقوال ابن خلدون والقلقشندي وذلك لغاية ص ١١٨ ومن ص ١١٩ إلى آخر الكتاب تعرض لبحث النقود بعنوان علم النميات . والكتاب بفهارسه يقع في ٢٥٩ صفحة، وإذا أضفنا إليه كتاب حسين بك عبد الرحمن تكون الكتب العربية المعروفة في النقود ستة لا أربعة . وللأستاذ عدنان خالص التقدير ولمجلة الرسالة فائق التحية

عبد السلام النجار

النعت بالمصدر

في العدد ٧٠٦ من الثقافة الصادر بتاريخ ٧ يوليو سنة ١٩٥٢ أخذ الأستاذ الفاضل محمود فتحي المحروق على زميله الشاعر الأستاذ كامل نشأت أنه استعمل المصدر صفة في قوله من قصيدة « بحيرة البجع »

والجناح «النصوع» في لونه الأبيض

فلك يسير في استبطاء

والواقع أن الوصف بالمصدر ليس محظورا في اللغة العربية فقد قال ابن هشام الأنصاري المصري في كتابه «أوضح المسالك» : الرابع من الأشياء التي ينعت بها المصدر . قالوا : هذا رجل عدل ورضا وزور ، وذلك عند الكوفيين على التأويل بالمشتق . أي عادل ومرضي وزائر . وعند البصريين على تقدير مضاف أي : ذو عدل ورضا وزور . ولهذا التزم إفراده وتذكيره » اهـ

وهناك رأي ثالث : هو أن الوصف بالمصدر على سبيل المبالغة كأن الشخص المذكور هو نفس العدل والرضا والزور . كأن هذه النعوت قد تمثلت في هذا المنعوت بشرا سويا . وفوق ذلك فإن الوصف بالمصدر شائع الاستعمال في اللغة قرآنا وحديثا وشعرا ، فمنه في القرآن - قول الله في سورة الملك « الذي خلق سبع سموات طباقا ماترى في خلق الرحمن من تفاوت » أي مطابقة بعضها فوق بعض ، أو ذات طباق : أو كأنها نفس الطباق ، وللأستاذين الفاضلين تحياتي

عبد الحافظ عبد المجيد كمبش

تصحيح نسبة أبيات

ذكر نباش جريدة المصري هذه الأبيات ونسبها لعمران ابن حطان الخارجي

لولا بنيات كزغب القطا ... رددن من بعض إلى بعض
لكان لي مضطرب واسع ... في الأرض ذات الطول والعرض
وإنما أولادنا بيننا ... أكبادنا تمشي على الأرض

وليست هذه الأبيات لعمران بن حطان الخارجي وإنما هي لحطان بن المعلى كما ذكر ذلك أبو تمام في ديوان الحماسة وهي أبيات سبعة أولها

أتزلني الدهر على حكمه ... من شامخ عال إلى خفض

وبعض الرواة ينسبها إلى المعلى الطائي أحد الشعراء الذين نزحوا إلى مصر واستقروا بها

عبد العليم علي محمود

أغاني الربيع

ديوان صغير الحجم كبير المعاني للشاعر الشاب بشير حسن القطان يقع في « ٤٧ » صفحة من القطع المتوسط طبع في بغداد وأهداه إلى قبل أيام، ولست أريد في هذه العجالة أن أبين للقراء ما يحوي من شعر رقيق يبشر بمستقبل زاهر لناظمه ، ولكني

أحببت أن أنبهه إلى بعض الأخطاء التي وجدتها في الديوان وهي

جاء في قصيدة « الناي الفارسي » ص (١١) هذا البيت الخارج عن وزن الأبيات الأخر

لكن النـــاي المثنى قد غدا اليوم حكيميا

بينما القصيدة كلها من مجزوء الرمل ، ثم ورود لفظة عروسة كقوله في ص « ١٦ » — عروسة الشعر أنت الزنبق المطر » وصوابها عروس المؤنث وعريس للمذكر ، ولفظة رغاب بمعنى أمنية ، وقوله ص « ٤٧ » — والأنجم الزهراء والصبح الأغر بينما تجمع أفعل وفعلاء على فعل فيجب أن يقول والأنجم الزهر ، كما في القرآن الكريم « سبع سنبلات خضر » و « يلبسون ثياباً خضراً من سندس » ولم يقل خضراء ، هذه بعض المآخذ وهي لاتنقص من قيمة شعره الرقيق

بغداد عبد القادر رشيد الناصري

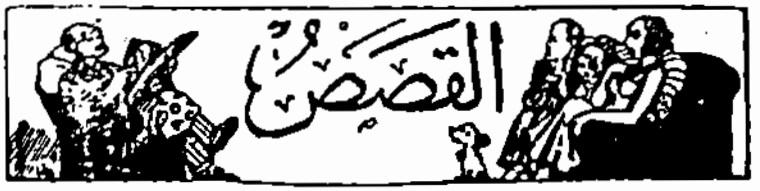

الشقي المدلل

للفيلسوف الروسي (تولستوي)

كانت تقوم على شاطئ البحر الأبيض ، وقريباً من الحدود الفرنسية الإيطالية مملكة صغيرة اسمها « مملكة مونا كو » ، ولعل لكثير من المدن أن تختال على هذه المملكة بوفرة نفوسها وازدحام سكانها ، فإن سكان هذه المملكة ما كانوا يتجاوزون سبعة آلاف ! وعلى أنه لو قسمت بينهم أراضي المملكة جماء لما أصاب المواطن الواحد منهم فدانا ! ومع ذلك كله فقد كان لهذه المملكة ملك حقيق له قصر وحاشية ووزراء ، وله أسقف وجيش وقادة

وعلى أن الجيش لم يكن بالجيش العرمرم الضخم — إذ ما كان عدد أفراده يزيد على الستين — فهو مع ذلك جيش له خطره وأهميته في المحافظة على كيان البلاد... وكان للحكومة في هذه المملكة ضرائب على الشعب تقتضاه إياها شأن بقية الحكومات، فضريبة على التبغ وضريبة على الشراب ، وضريبة أخرى غير هاتين على الرؤوس ... ومع أن الشعب كان كعامة شعوب العالم يدمن التدخين ، ويتعاطى الخمور ، إلا أن ضرائب الحكومة من ذلك لم تكن تسد حاجات الأمير ونفقات بلاطه وجيشه ، ولم تسعفه ضريبة أخرى من مصدر جديد هو لعبة «الروليت» فكان الناس يتقاطرون من أنحاء أوربا ليقامروا هناك في دار القمار ، وسواء أربح اللاعبون أم كانوا من الخاسرين فإن لصاحب الدار حصته المعروفة من المال . وكان يجتمع له بهذا مال كثير يكون النصيب الأوفر منه للأمير .. وتضخم أرباح الأمير من هذه اللعبة مرجعه أن دار القمار هذه الوحيدة من نوعها في أرجاء أوربا كلها ؛ وإذا كان أمراء الألمان قد منعوا من إقامة أمثال هذه البيوت في بلادهم لما يقع فيها من حوادث الإجرام والأضرار المتأتية عن خسارة بعض اللاعبين ومقامراتهم ومضارباتهم وانتهائهم عند نزول الكارثة بهم إلى الانتحار بالرصاص ، وإذا كان أمير « مونا كو » غير متقيد ولا تابع لسلطة من التي يطيعها أمراء الألمان، فقد ألغيت دار القمار عند أولئك وبقيت داره هذه الوحيدة في أوربا التي لا قدرة لأحد أن يتعرض لها بشيء ، وظل هو محتكراً هذه الأرباح

وكذلك كان الناس يفدون على «مونا كو» ليقامروا ، فتارة يخسرون وأخرى يربحون ، أما الأمير فليس له في كلتا الحالتين سوى الربح ... وعلى أن أمير (مونا كو) كان عايا بالمثل القائل « ليس من نتائج أعمال النزاهة والشرف تشييد شـــوامخ القصور . » وعلى أنه كان عارفاً بأن اليسر ليس من مشرفات الأعمال فإنه لم يجد بدا من إبقاء نظام اليسر على وضعه ليسد حاجاته ، وليعيش عيشة يرضاها ، فكان يقيم الحفلات ويولم الولائم ، ويظهر للناس بمظهر الأبهة التي يعهدونها في قصور الملوك . وكان يمنح المنح، ويجزل الهبات ويشكل اللجان ،

ويشرع النظام وينشئ الحاكم . . . وكان يعرض الجيش ويطوف بأنحاء المملكة ، ويفعل فعل غيره من الملوك ولكن في صورة مصغرة كنسبة مملكته الصغيرة إلى بقية الممالك !

* * *

وكان أهل (مونا كو) معروفين بالمسالمة ولين العريكة ، فليس بينهم مجرم ولا سفاح ، حتى حدثت منذ سنوات جريمة قتل كانت الأولى في تاريخ هذه المملكة ؛ فاجتمع لها القضاة في يوم مشهود ليتداولوا في شؤون هذه القضية وفق أصول العدل والانصاف . وكان ذلك الحفل المهيب يضم رجال القانون من محامين وقضاة ومحلفين ومدعين عامين . وقد ظلوا يتدارسون نصوص القانون ، ويؤولونها ، ويذهبون في تفسيرها المذاهب حتى أصدروا حكم الإعدام على ذلك القاتل وفق إحدى مواد القانون ! وحمل القرار من بعد ذلك إلى الأمير ، فقرأه وأصدر الأمر بالموافقة على ما يرتأون !

على أن مشكلة واحدة بقيت لتنفيذ الحكم ، إذ لم يكن في المملكة مقصلة ولا كان بها جلاد ! فبحث الوزراء المشكلة وقرروا أن يفاوضوا الحكومة الفرنسية في أمر إعارتهم مقصلة وجلاداً لتنفيذ حكم الإعدام ، وطلبوا منها معرفة ما يقتضيهم ذلك من الأجور . ثم أرسلوا بالكتاب إلى رئيس الجمهورية الفرنسية .

وبعد أسبوع ورد جواب الرئيس قائلا « إن تكاليف إرسال مقصلة وجلاد تبلغ ستة عشر ألفاً من الفرنكات . » وعرض هذا على الأمير فعجب من استحالة قطع رأس هذا الأثيم إلا بهذا المبلغ الجسيم الذي لا تقوم بشيء منه حياته ! ثم طلب التفتيش عن طريقة أرخص لا ترهق الأهلين بضريبة جديدة يجبرون عليها ، وربما كان من ذلك ثورة جامحة تقلع ألسنتها فتطغى على الأمن في البلاد !

... ودعي مجلس الوزراء للبحث في هذه المشكلة من جديد ... وعندئذ قرر المجلس إرسال طلب آخر إلى ملك إيطاليا، ذلك بأن حكومة فرنسا جمهورية لا ترعى الود المتبادل بين الملوك وليس أمر ملك إيطاليا كذلك ، فإنه — ولا شك — سيرعى حرمة الزمالة التي تربطه بالأمير فيتساهل معه وعلى هذا فقد كتبت رسالة في هذا الغرض وأرسلت ، فجاء الجواب : « إن من دواعي غبطة الحكومة الإيطالية تجهيز جارتها بالمقصلة والجلاد مقابل اثني عشر ألفا من الفرنكات ضمنها تكاليف الإرسال والإعادة » وهذا الأجر وإن كان أقل من سابقه إلا أن المجرم لا يستحق إنفاق هذا المبلغ عليه ، وتكليف الرعية بأن يدفع كل فرد منها فرنكين :

وهكذا دعي المجلس ثالثة للاجتماع فتداول أعضاؤه الأمر ، وتناقشوا في المعضلة لعلهم يهتدون إلى طريقة رخيصة في قتل هذا المجرم . فقال قائلهم : أو لا يمكن تكليف أحد من الجند بقطع رقبة هذا الأثيم ؟ وليكن ذلك كيفما اتفق إذ المهم أن يموت ! فدعي لذلك قائد الجيش وألقى عليه السؤال . فجمع هذا جنده وسألهم : أفي استطاعة أحدكم تنفيذ المهمة ؟ غير أنهم لم يجيبوه ولم يرتضوا ذلك منه ، وقالوا له: « إن ذلك ليس من شأننا — نحن — ولا كان مما سبق أن دربنا عليه ! »

هنالك فكر الوزراء وتذاكروا فأجمعوا أمرهم على تفويض النظر في القضية إلى لجنتين: عليا ودنيا ، وأخيراً تم القرار على الاستعاضة عن حكم الإعدام بالسجن المؤبد والأشغال الشاقة ، وكان الأمير بهذا يستطيع أن يرعى الرعية وأفئدة ورقة قلبه ، كما أن تلك الطريقة كانت أرخص العقوبات جميعا ! ووافق الأمير على هذا الحكم الأخير وأوشك التنفيذ أن يتم لولا أن قامت أزمة جديدة ؛ تلك هي أزمة إيجاد سجن يقضي فيه هذا السجين حياته .. على أنهم أخيراً وفقوا إلى إيجاد قرفة لا قامته ووكلوا به سجانا يتولى أمر حراسته وإطعامه من مطبخ القصر

ظل السجين في محبسه تتعاقب عليه الشهور حتى اكتملت عليه سنة تماما ؛ ولكن بينا كان الأمير يفحص ميزانية الدولة ويقلب فيها نظره لاحظ أن فيها باباً جديدا من النفقة ؛ تلك هي نفقات سجن هذا المجرم الشقي ، ولم تكن هذه بالنفقات اليسيرة البسيطة ، ولا كانت بالسهلة القليلة ، وإنما كانت شديدة الكلفة ثقيلة الوطأة على ميزانية الدولة ! فقد كان المجرم هذا حارس يمنعه من الهرب ، ورجل غيره يتولى أمر

إطعامه ! وفى هذا السبيل صرفت سنائة فرنك من ميزانية الدولة هذا العام ! والأدهى من ذلك أن الرجل فى ميعة الشباب صحيح البدن معافى ، ولربما امتد به العمر إلى خمسين من السنين ! ولو حسب المرء المسألة هذا الحساب لم يجدها بالسهولة التى كان يتصور ... وعلى ذلك فقد جمع الأمير وزراءه وقال لهم: « إن عليكم أن تكتشفوا طريقة غير هذه تكون أخف مؤونة وأقل منها نفقة ، فهذه التى اتبعتموها باهظة لا قبل لنا بها ! »

وتداول الوزراء الأمر بينهم حتى اهتدى أحدهم إلى فكرة فقال لاخوانه : « أيها السادة ، إن من المعقول — فى نظرى — أن نفصل الحرس فنقتصد نفقاته» . غير أن وزيراً آخر اعترض عليه قائلا : « إن الرجل سيهرب إن لم يجد من يحرسه . » وهنالك رد عليه صاحبه : « إن ذلك ما يريدون إذ لا يهمهم أن يهرب »

وتم على ذلك الاتفاق . فرفعوا إلى الأمير تقريرا يشرحون له الأمر فوافقهم على ما يرتأون . وفصل الحارس من عمله وظل جماعة الوزراء يرتقبون المآل حتى جاء موعد الغداء واشتد بالسجين الجوع ، فخرج بعد أن طال ارتقابه لحارسه حتى يئس منه — إلى مطبخ القصر وأخذ طعامه منه وعاد إلى غرفته وأغلق على نفسه الباب ! وعاد فى اليوم التالى فكرر ما صنع بالأمس فى الوقت المعين المحدود . وهكذا قبل السجين هذا العناء الجديد،دون أن تخطر له فكرة الهرب من هذا السجن على بال !

وإذا فماذا ترى الوزراء فاعلين ؟

هنالك اجتمعوا وبحثوا المشكلة من جديد فقر رأيهم أن يصارحوه بعدم رغبتهم فى بقائه ، فاستدعاه (وزير العدل) إليه وسأله

— مابالك لا تهرب وليس عليك حارس يمنعك ؟ إذهب حيث شئت فلن يعنى بذلك الأمير . فأجاب الرجل : — لعلى استطيع أن أقول إن الأمير لا يعنيه ، ولكن أين المأوى الذى آوى إليه ؟ ولاحيلة لى فى الحصول على قوتى وقد وصمتمونى بأشنع الصفات بأحكامكم التى أصدرتم على . وهؤلاء الناس ان يأتمنونى بعد الآن على شىء . ذلك إلى أنى اعتدت حياة الكسل والخمول فانحطت بالتدريج . لقد أسأتم إلى حقا ، فقد كنتم أصدرتم الحكم على بالإعدام فلم تنفذوه ، ثم استعضتم عن ذلك بحكم الأشغال المؤبدة الشاقة وعينتم لذلك حارساً كان يأتينى بطعامى ، غيرأنكم — بعد برهة من الزمن — عزلتموه فاضطررت إلى الذهاب بنفسى إلى المطبخ للحصول على مايكفينى من الطعام. ثم إنكم — بعد ذلك — تريدوننى على الفرار ! كلا ياسيدى ، كل شىء يصح إلا ماتريدوننى عليه ! اصنعوا ما بدا لكم وافعلوا بى ما حلا لكم غير أنى لن ألوذ بالفرار !

إذاً فكيف ؟

واجتمع مجلس الوزراء يبحث المعضلة بحثاً جديا حاسماً ، ولكنهم احتاروا فيما يقررون ! وترددوا فى اختيار النهج الذى يرون اتباع السير عليه ... إن الرجل لن يبرح الديار أبداً . وفكروا واحتالوا فاوجدوا غير منح الرجل (معاشا) يكفل لهم الخلاص منه ! وأنهوا الحل الأخير إلى الأمير قائلين إنه ليس من حل خير من هذا الذى ارتأوه ، وهو أن يمنح الشقى معاشاً يقيهم أذاه ، ويبعده عنهم! فأقر الأمير رأيهم مرغما وقدر للمجرم الشقى معاشا سنويا قدره (٦٠٠) فرنك فلما أخذ فى ذلك رأيه أجاب

— أما الآن فقد طاب الفرار ! على أن تلزموا أنفسكم دفعه إلى بانتظام .

وهكذا حسمت المشكلة . وأخذ الشقى ثلث جرايته مقدما وغادر المملكة إلى مسيرة ربع ساعة بالقطار ! ونزل قرية ابتاع فيها أرضا بالقرب من حدود بلاده وزرعها متجرا بثمارها وغلاتها وعاش فى راحة واطمئنان . وكان كلما جاء موعد معاشه ذهب فاستلمه ثم اتجه إلى مائدة القمار فقامر عليها بفرنكين أو ثلاثة مكتفيا بهذا القدر اليسير ورجع إلى مهجره يستأنف حياة الدعة والراحة

ولعل من حسن طالعه أنه لم يرتكب جريمته الأولى فى قطار آخر ترخص فيه أثمان قطع الرقاب وتقل فيه تكاليف الإيداع فى أعماق السجون مدى الحياة !

ف . سمه

ظهرت الطبعة الرابعة الجديدة

للمجلد الأول من كتاب

وحي الرسالة

فصول في الأدب والنقد والسياسة والاجتماع

للاستاذ أحمد حسن الزيات بك

طبع طبعاً أنيقاً على ورق صقيل وقد بلغت عدد صفحاته خمسمائة صفحة ونيفاً

وهو يطلب من إدارة الرسالة ومن جميع المكتبات وثمنه أربعون قرشاً عدا أجرة البريد

مطبعة الرسالة

العدد ٩٩٥ — ٢٨ يوليه سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون

الرسالة والرواية

فهرس العدد

نقطة البدء ... ... : للأستاذ سيد قطب ٨٢٥

من معارك الأدب السياسي ... : « عمر حليق ٨٢٨

هل قطعت يد السارق ... ... : للأستاذ محمد عبدالله السمان ٨٣٢

إندونيسيا ... ... : الأستاذ أبو الفتوح عطيفة ... ٨٣٤

عروس الجنة ... ... : للدكتور عمر عودة الخطيب ... ٨٣٦

أبو هلال العسكري ... ... : « عبد العزيز قلقيلة ... ٦٣٨

شاعر السودان ... ... : « عبدالقادر رشيد الناصري ٨٤١

الإسلام وحياتنا العامة ... ... : « محمود عبد العزيز محرم ٨٤٣

ديوان مجد الإسلام ... ... : نظم المرحوم الشاعر أحمد محرم ٨٤٦

(الكتب) — أم كلثوم — تأليف الأستاذة نعمات أحمد فؤاد — ٨٤٨
للأستاذ أحمد عبد اللطيف بدر ... ...

(البريد الأدبي) — عقاب تذكر وتؤنث — زيادة في الوزن — ٨٤٩
توحيد مناهج التاريخ في البلاد العربية ... ...

(القصص) — اللص الثرثار — عن الانجليزية ٨٥١

٣٩٠٧

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

20 me. année No 995

Le Caire 28 – 6 – 1952

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العدد ٩٩٥ «القاهرة فى يوم الاثنين ٦ ذى القعدة سنة ١٣٧١ — ٢٨ يوليه سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون

نقطة البـــدء

الاستاذ سيد قطب

لفينى الأستاذ الأديب الشاعر محمد فهمى وقد قرأ مقالى الأخير فى الرسالة بعنوان : « إلى الناشئين فى العالم الإسلامى » فقال فى شئ غير قليل من الحدة والضيق : لمن تكتبون هذا الكلام ؟ وما قيمة توجيهه إلى شعوب كاملة من الأميين الذين لا يقرأون ما تكتبون ؛ والقلة القليلة التى تقرأ لا تملك أن تفصل بكتلة الشعوب ، لأنها شعوب جاهلة لا تدرى شيئا مما حولها ، ولا تستطيع شيئا حتى لو درت ، لأن الحياة فى هذا العصر تريد شعوبا متعلمة وإلا فالموت والذل للأميين ...

واستمعت إلى ثورته .. إن فيها كثيرا من الحق . وإن كان لهذا الحق بقية هى التى أردت أن أعرضها للناقد الثائر ، لولا أنه لم يمهلنى . لقد ارتفع صوته بالسخط ، وأنا لا أريد أن أسترسل فى مناقشة الساخطين الثائرين !

نعم . نحن فى حاجة إلى توجيه حملات ضخمة لنشر التعليم فى العالم الإسلامى كله نشرا سريعا فى خطوات جازمة حازمة ، لا تسير بخطوات السلحفاة » . نحن فى حاجة إلى توجيه هذه الحملات لا إلى اليمن مثلا حيث يحارب التعليم كما تحارب المخدرات ، أو أشد وأعنف ، لأن المخدرات هناك لا تقاوم ، ونبات (القات) المخدر يزرع فى كل مكان ، ويستعمل فى كل مكان ، ولا تفكر الدولة فى مقاومته كما تفكر فى مقاومة التعليم ، ولا تطارده كما تطارد المتعلمين !

ولا إلى الحجاز ونجد حيث لا تبلغ ميزانية التعليم كلها ربع ميزانية فرد ؛ ولا ينفق عليه عشر ما ينفق على السيارات والسكاليات والعطور

ولا إلى بلاد الشمال الإفريقى حيث يقف الاستعمار سدا فى وجه الثقافة ، حتى اتمد الكتب والمجلات محظورات ، تهرب داخل طرود سرية ، خيفة أن تثير شبهات الجمارك والبريد !

نحن فى حاجة إلى توجيه تلك الحملات لا لمثل هذه الأصقاع فى العالم الإسلامى ، بل إلى مصر التى تعد أكثر بلاد العالم الإسلامى تقدما من هذه الناحية ، إذا استثنينا لبنان ، ونسبة التعليم فيها أكثر ارتفاعا

نعم فى حاجة أن نوجه تلك الحملات إلى مصر التى تعطى وكلاء الوزارات والمديرين العامين بدل سيارات ، يتراوح شهريا بين ثلاثين وأربعين جنيها ثم تخفض ميزانية التعليم إلى الثلث بحجة التقشف ! مصر التى تهدر معظم ما تملكه من العملة الصعبة فى شراء السيارات الفاخرة ثم لا تجد ما تشترى به مصانع أو آلات زراعية ميكانيكية أو آلات صناعية ، أو حتى أدوات

حية ، لأن مالديها من العملة الصعبة محدود ! مصر التي يتعطل ثلاثة أرباع سكانها عن العمل ، لأن مرافق العمل فيها محدودة ، ولا تملك توسيع مرافق العمل هذه ، لأن ميزانيتها تحوى ملايين الجنيهات لشراء أثاث فاخر ، وشراء بخوت فاخرة ، وحضور ولائم ومؤتمرات ونزهات للمحظوظين !

لقد قال لى محدثى الثائر : دعوا الاستعمار - لا تحاربوه الآن . نحن لا يهمنا أن يكون فى أرضنا مليون من الجيوش الاستعمارية . إذا كان لدينا عشرة ملايين فقط من المواطنين المتعلمين . إن ألمانيا محتلة بالجيوش الروسية والأمريكية والإنجليزية والفرنسية ، ولكن الجميع يترضونها ، لأن الشعب الألمانى شعب متعلم ، لا يمكن أن تحكمه جيوش المستعمرين ..

وقال : دعوا الكفاح الاجتماعى لتعديل الأوضاع الاقتصادية — وحتى الدستورية — فهذه الأوضاع التى تتكون منها ستعدل نفسها بنفسها يوم يستحيل الشعب المصرى أو أى شعب عربى أو إسلامى إلى شعب متعلم ..

كنت أريد أن أفهم محدثى أن هذا كله صحيح ، ولكن هنالك أشياء أخرى يجب أن تكون فى الاعتبار . لولا أنه لم يترك لى فرصة للكلام !

نعم . إن الاستعمار لا يملك أن يعيش فى بلد متعلم .. نعم إن الحرمان لا يمكن أن يدوم فى شعب متعلم .. نعم إن الطغيان لا يمكن أن يقوم فى وطن متعلم .. نعم . كل هذا صحيح ؛ ولكن بقى أن نعرف : من هو الشعب المتعلم ؟ ومن هو الفرد المتعلم ؟

إنى أومن بقوة المعرفة . أومن بقوة الثقافة . ولكنى أومن أكثر بقوة التربية ...

إنى أنظر فى تاريخ الاستعمار ، فلا أكاد أجد له أسنادا إلا من المتعلمين .. كل الرجال الذين قدموا للاستعمار خدمات ضخمة . الذين مهدوا للاستعمار ومكنوا له . الذين كشفوا له عن عورات البلاد ومقاتلها . الذين تولوا عنه تحطيم معنويات الوطن وقراءه الكامنة . الذين جعلوا أنفسهم ستارا لمساوى الاستعمار ومخازيه .. كلهم .. كلهم كانوا من المتعلمين !

كذلك كان الذين مهدوا للطغيان وأعانوه استمرأوا سلطان الجبابرة ولم يؤدوا ضريبة الذل والعبودية الذين استغلوا النفوذ للاثراء على حساب الشعب . الذين أفسدوا ضمير الشعب بالمحسوبية والرشوة والسرقة والغش . الذين خانوا الوطن والأمانة والخلق والضمير .. كلهم كانوا كذلك من المتعلمين !

نعم . إنه لو كانت الشعوب أو كثرتها من المتعلمين ما أمكن للمستعمرة أن يسلموا البضاعة بهذا اليسر وهذه السهولة . هذا صحيح . ولكنه صحيح كذلك أن « الصنف » المتعلم الذى تخرجه المدارس فى بلادنا اليوم ، ليس هو الذى يقف فى وجه التيار ، وليس هو الذى يستعصى على المستعمرة ، بدليل أن كثرته يجرفها تيار العبودية والذل والفساد ، دون أن ترفع رأسها ، ودون أن تدافع عن كرامتها ، بل عن إنسانيتها .. إن أنشودة « أكل العيش » هى النشيد القومى للجميع ! وأكل العيش ممكن فى ظلال الكرامة لو أرادها الجميع

إن التعليم الذى نزاوله فى مصر ، ومعظم البلاد الإسلامية ، تعليم فاشل ، بل تعليم قاتل . إنه تعليم بلا تربية ، بل تعليم يكافح التربية . إن المدارس والجامعات تخرج لهذه الأوطان فتاتا آدميا وحطاما بشريا . تخرج له عبيدا . نشيدهم القومى الخالد هو أنشودة « أكل العيش » !

لست أنكر على الشباب المتعلم أن يطلب رزقه ، فالحياة لابد أن تعاش . والمال عصب الحياة . بل لست ألوم هذا الشباب المتعلم ، فلو وجد هذا الشباب أجيالا من الأساتذة الصالحين ، وتقاليد من النظم الصالحة ، لكان أفضل شباب الأرض . ولكنى أقرر الحقيقة المؤلمة ، حقيقة أن معاهد التعليم فى مصر كلها وفى معظم البلاد الإسلامية الأخرى .. لاتخرج رجالا أحراراً بقدر ماتخرج عبيدا أرقاء . ولاتخرج شخصيات متماسكة بقدر ماتخرج فتاتا آدميا وحطاما بشريا .. إنها معاهد خاوية من الروح .. وهذا مفرق الطريق

إن نظم التعليم وخططه ومناهجه وكتبه .. وأخشى أن أقول أساتذته .. لايمكن أن تخرج رجالا أحرارا مفكرين مستنيرين . إلا الشواذ الذين يكافحون الجهاز التعليمى كله ويخرجون من براثنه سالمين

ولقد كان ذلك قائما قبل تلك الفوضى الأخيرة ، التى سميت « مجانية التعليم »

إن التعليم كان يجب أن يكون بالمجان . وكل بلاد العالم المتحضر التعليم العام فيها بالمجان . ولكن المجانية شيء والفوضى شيء آخر . والذي حدث والذي تحقق هو الفوضى . أما المجانية فليس فيها قولان فقط ، بل عدة أقاويل !

لقد كان الآباء يدفعون عشرة جنيهات المدرسة الابتدائية أو عشرين جنيها المدرسة الثانوية ؛ فتقوم عنهم بتعليم أبنائهم ، ذلك التعليم الخاوي من المثل الخاوي من الروح.. فأصبحوا اليوم مكلفين — من استطاع ذلك منهم — أن يدفعوا للدروس الخصوصية عشرين أو ثلاثين أو خمسين جنيها ليحصلوا لأبنائهم على النجاح في الامتحانات ، لا عن طريق التعليم الخاوي من المثل الخاوي من الروح . بل عن طريق اطلاعهم على أسئلة الامتحان وتيسير الغش فيه!

إنها الكارثة . الكارثة المضاعفة التي تربى على ما كنا فيه

إن التعليم الذي نزاوله ، والذي كنا نزاوله قبل حكاية المجانية الزائفة ؛ ليس هو الذي يؤدي إلى ككفاح الاستعمار ، وكفاح الطغيان ، وتعديل الأوضاع الاجتماعية المخلة بكرامة الإنسان . .

إن التعليم لكي يؤدي مهمته هذه يحتاج إلى تعديله من أساسه . . ومما يؤلم النفس أن هذا التعديل لا يحتاج إلى مال غير الذي ننفقه . وقد لا يحتاج إلى رجال غير الذين يزاولون اليوم مهمة التعليم . ولكنه يحتاج فقط إلى إيمان بهذا التعديل الشامل ، وإلى عقليات قليلة ناضجة تشرف على التنفيذ . .

أم لعلي أمام عقدة العقد ، وأنا أحسبها من الهين اليسير ؟ !

ألم أحاول مرة أن أغير نظام دراسة اللغة العربية ليقام على أساس سليم عام ١٩٤٣ ففشلت . وكان الأمر يومها متروكا إلى سعادة المستشار الفني الدكتور طه حسين ؟!

ألم أحاول مرة أن أغير نظام دراسة التاريخ ليقام على أساس سليم عام ١٩٤٧ ففشلت وكان الأمر يومها متروكا إلى معالي وزير المعارف الدكتور عبد الرازق السنهوري ؟ !

ألم أحاول عشرين مرة — بعد عودتي من البعثة إلى أمريكا — أن أنشئ لوزارة المعارف أداة فنية صحيحة ، تقيم نظم التعليم ومناهجه على أساس سليم ، ففشلت في هذه المرات كلها فشلا ذريعا ؛ لأن المراد في هذه المرة كان إصلاحا في الصميم ؟ !

لقد أفلح الاستعمار في تعطيم عقلية وزارة المعارف بالميكروب الثابت . . إنه يبدو دائما في صورة كبار موظفين !

• • •

نعم يجب أن ينتشر التعليم ؛ ولكن أي تعليم ؟ يجب أن يقوم هذا التعليم على أسس ثقافية سليمة ، وعلى أسس تربوية سليمة . نعم وينبغي أن تكون له مثل ، وأن تكون به روح .

وإلى أن يقيض الله لوزارة المعارف رجالا يؤمنون بهذا ويقدرون في الوقت ذاته على مقاومة الميكروبات الاستعمارية الكامنة في وزارة المعارف ، في صورة كبار موظفين !

إلى أن يقيض الله لوزارة المعارف أولئك الرجال ، فليس أمامنا لمكافحة سموم الأجهزة التعليمية الحاضرة إلا الحاضن الخاصة ، التي تتلقف الشباب الضائع ، والحطام المفتت ، فتعيد صياغته في قوالب جديدة سليمة ، وفي جو روحي نظيف . لترد هذا الشباب الضائع الحائر رجالا كراما على أنفسهم ، كراما على أوطانهم ، كراما على ربهم ...

وهذا ما يحاوله .. الإخوان المسلمون ..

سيد قطب

ظهرت الطبعة الرابعة الجديدة للمجلد الأول من كتاب

وحي الرسالة

للأستاذ أحمد حسن الزيات بك

طبع طبعا أنيقا على ورق صقيل وقد بلغت عدد صفحاته خمسمائة صفحة ونيفا وهو يطلب من ادارة الرسالة ومن جميع المكتبات وثمنه أربعون قرشا عدا أجرة البريد